توفه يانسون

صيفُ المومين الجنونيُّ

مكتبة
Telegram Network

دار المنى

صَيفُ المومين الجُنونيُّ

توفه يانسون

«مكتبة ♔ النخبة»

ISBN: 978 91 88863 77 5
Arabic edition © Bokförlaget Dar Al Muna AB, 2019
© Tove Jansson, (1954), Moomin Characters™
Arabic text © Bokförlaget Dar Al Muna
First published in Swedish under the title:
Farlig midsommar
All rights for Arabic language are reserved
Typesetting: Joachim Trapp

Bokförlaget Dar Al-Muna AB
Box 127, 18205 Djursholm, Sweden
www.daralmuna.com

إلى فيفيكا

N.W.
N.O.
W.
O.
S.W.
S.O.
S.
السجن
بيت الفيليجونكة
بيت الهيميولنة
مروج
مخيم سنفكين
ارتطام
المسرح هنا
ماي الصغيرة
في سلة الخياطة
خريطة
جدول التنوب
شجرة
الغبيراء
حيث ناما
الجدول
الصغير
حيث تواريا

1

عن قاربٍ من لِحاءِ الشَّجر وعن بُركانٍ

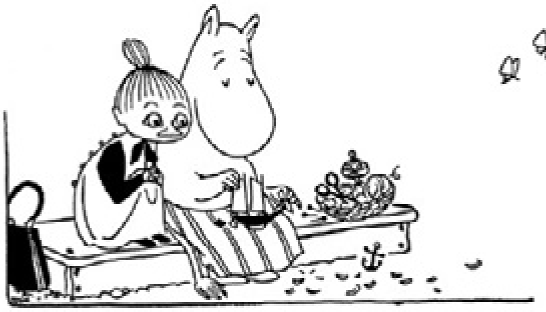

كانت ماما مومين جالسةً على درج البيت الأماميِّ في الشَّمس، تصنع نموذجَ قاربٍ شراعيٍّ من لِحاءِ الشَّجر.

«شراعٌ كبيرٌ على الصَّاري الرَّئيسِ، وآخرُ على الصَّاري الخلفيِّ، وعدَّةُ أشرعةٍ ثلاثيَّةِ الزَّوايا عند عمود المقدِّمة، هذا إذا لم تخنِّي الذَّاكرةُ،» فكَّرت.

كان إبداع الدَّفة مهمَّةً دقيقةً، والمخزنُ أكثر غرابةً. قطعت ماما مومين بويبًا من اللّحاءِ، وعندما وضعتْهُ في مكانِه تلاءَمَ جيِّدًا وبشكلٍ مريحٍ فوق المخزنِ.

« لِمَن هذا؟» استفهمَتْ بنتُ الميمبل باهتمامٍ.

«لِمومين ترول،» ردَّتِ الأمُّ، وانهمكت تفتِّشُ في سلَّةِ الأشغال عن شيءٍ لتصنعَ منه حبلَ المرساةِ.

فجأةً صاح صوتٌ دقيق من السَّلةِ: «لا تدفعيني هنا وهناك!»

«يا ربِّي،» هتفَتْ ماما مومين، «ها هي أختكِ الصَّغيرة تختبئ ثانيةً في سلَّة الأشغالِ! ستؤذي نفسها بالدَّبابيسِ والإبر في أحدِ الأيام.»

«يا ماي!» قالت بنت الميمبل بنبرةِ تهديدٍ، وحاولتِ انتشالَ أختها من شلَّة صوفٍ. «اخرجِي حالًا!»

لكنَّ ماي الصَّغيرةَ نجحت في الزَّحف نحو مكانٍ أعمقَ في الصُّوف حيث اختفَتْ تمامًا.

«من المزعج كثيرًا أنَّها وُلدت بهذا الحجم الصَّغيرِ جدًّا،» اشتكَتْ بنت الميمبل. «ما عرفت قطُّ أين أبحثُ عنها. ألَا يمكنكِ أن تصنعي لها قاربَ لحاءٍ أيضًا؟ إذ تستطيع أن تبحرَ به في برميلِ الماءِ، وبالتَّالي أعرفُ دائمًا أين هي.»

ضحكَتْ ماما مومين، ونظرت في حقيبةِ يدها بحثًا عن قطعةٍ أخرى من اللِحاء.

«أتظنِّين أنَّ هذه القطعة من اللّحاء يمكن أنْ تحملَ ماي الصَّغيرةَ؟» سألَتْ.

«بالتَّأكيد،» أجابت بنت الميمبل. «لكن يتحتَّمُ عليكِ أنْ تزوِّديها بحزامِ نجاةٍ أيضًا.»

«أتسمحين لي أنْ أقطعَ كرةَ الحياكَةِ؟» صاحت ماي الصَّغيرة من سلَّة الخياطةِ.

«افعلِي ما يحلو لكِ،» ردَّت ماما مومين التي جلست تبدي إعجابَها بقاربِها، متسائلةً إنْ كانت قد نسيَتْ أيَّ شيءٍ. وبينما هي جالسةٌ والقارب في كفِّها طارت رقاقةٌ سوداءُ كبيرةٌ منَ السّخامِ، وحطَّت في وسط سطحِ القاربِ.

«أفٍّ،» تذمَّرت ماما مومين ونفختها بعيدًا. وعلى الفورِ حطَّت رقاقة سخامٍ أخرى على أنفِها. ثمَّ، بلا سابقِ إنذارٍ عجَّ الهواء بالسّخام.

نهضت ماما مومين وهي تتنهَّد.

«مزعجٌ جدًّا جدًّا هذا البركان،» علَّقت.

«بركان!؟» هتفت ماي الصَّغيرة، ودفعت رأسًا مهتمًّا خارج شلَّة الصُّوف.

«نعم، إنَّه جبلٌ لا يبعدُ كثيرًا عن هنا، وعلى حين غرَّةٍ يبدأ في بصقِ الحمم والدُّخَان على الوادي بأكملِه،» وضَّحتْ ماما مومين. «والسّخام أيضًا. بيد أنَّه منذ أنْ تزوَّجتُ بقي هادئًا ومسالمًا. والآن بعد هذه السِّنين كلِّها، وبعد أنْ أنهيتُ غسيلي أخذ يعطس ثانيةً ويسوِّد ما نشرته من ملابسَ...»

«سيحترقُ الجميع!» هلَّلت ماي الصَّغيرة بسعادةٍ، «وكذلك بيوتُهم وحدائقُهم وملاعبُهم بما في ذلك الأخواتُ الصَّغيرات وألعابُهنَّ!»

«كلامٌ فارغٌ،» قالت ماما مومين بلطفٍ، وكنسَت بعيدًا ذرَّةً أخرى من السّخام عن أنفها. ثم ذهبت تبحثُ عن مومين ترول.

✽ ✽ ✽

أسفل المنحدرِ إلى يمين أرجوحةِ بابا مومين قليلًا، كانت هناك بِركةٌ طينيَّةٌ كبيرةٌ فيها ماءٌ بُنيٌّ صافٍ. وأصرَّت بنت الميمبل دائمًا على أنَّ منتصفَها لا قاعَ له. وربَّما كانت محقَّةً. حول ضفاف البركة نمت أوراقٌ عريضةٌ ولمّاعةٌ لترتاحَ عليها اليعاسيبُ والخنافسُ المتزحلقةُ، وتحت سطحِها مخلوقاتٌ عنكبوتيَّةٌ درجت على التَّجديف وهي تتلوَّى، لتضفيَ على نفسها الأهميَّةَ. أمَّا على مسافةٍ أبعد نزولًا فثمَّة ضفدعةٌ بِرَكٍ بعينين تلمعان كالذَّهب، وأحيانًا يمكن التقاطُ لمحةٍ خاطفة من أقربائها الغامضين الذين يعيشون في أعماقِ الطِّين.

هناك كان مومين ترول قابعًا في مكانه المألوف (أو أحد أماكنِه المألوفَةِ) مستلقيًا على العشبِ الأخضرِ والأصفرِ، وذيلُه مدسوسٌ بعنايةٍ تحتَهُ.

أمعن النَّظرَ في البركة برصانةٍ ورضًا وهو يستمع إلى حفيفِ الأجنحةِ وطنينِ النَّحل الوسنان من حوله.

«هو لي»، فكَّر. «أنا متأكِّدٌ من أنَّه لي. هي دائمًا تصنع أول قارب لحاءٍ صيفيٍّ للشّخصِ الذي تحبُّه أكثر من الآخرين. ثم تثيرُ بعض البلبلة؛ لأنَّها لا تريد أن

يشعرَ أحدٌ بالقهرِ. إذا مضَى عنكبوتُ الماء ذاك زاحفًا شرقًا لن يكونَ هناك هيكلٌ خشبيٌّ للقارب. وإذا زحف غربًا تكون قد صنعت هيكلًا صغيرًا لا يكاد المرءُ يجرؤُ على حمله بكفِّه.»

زحف العنكبوت تُجاه الشَّرق، فانهمرتِ الدُّموع من عينيِّ مومين ترول.

في تلك اللحظة تصاعدَ حفيفٌ من العشبِ، ثم دفعَتْ أمُّه رأسَها من بين أنصالِ الحشيشِ. «سلاماتٌ،» قالت. «معي شيءٌ لكَ.»

انحنَتْ وعوَّمت القاربَ بحرصٍ كبيرٍ. فتوزانَ على نحوٍ جميلٍ فوق انعكاسِ صورتِه في الماء، ثم أبحرَ مع مسار الماء كمَا لو أنَّ بحّارةً متمرِّسين يقودونَهُ.

بنظرةٍ خاطفةٍ رأى مومين ترول أنَّها قد نسيَت الهيكلَ الخشبيَّ.

حكَّ أنفه بتوددٍ في أمِّه (هذا يشبهُ تمسيدَ الوجهِ بمخملٍ أبيضَ) وقال: «إنَّه ألطفُ قاربٍ صنعْتِه على الإطلاق.»

جلسَا جنبًا إلى جنبٍ على العشب وراقبَا القاربَ يبحرُ عبرَ البركَةِ ويحطُّ في طرفِها الآخر قربَ ورقةِ شجرٍ كبيرةٍ.

أمَّا في البيت فكانت بنتُ الميمبل تصيحُ مناديةً أختها الصَّغيرة. «ماي! ماي! أيَّتُها المزعجةُ الصَّغيرةُ الرَّهيبةُ! ماااي! تعالَي في الحال كي أتمكَّنَ من شدِّ شعركِ!»

«ها قد عادَتْ واختبأَتْ في مكانٍ ما مُجدَّدًا،» قالَ مومين ترول. «أتتذكَّرين تلك المرَّةَ عندما وجدناها في حقيبتكِ؟» هزَّت ماما مومين رأسَها إيجابًا.

كانت تغطِسُ أنفها في الماء وتمعن النَّظرَ في القاع.

«ثمَّةَ وميضٌ لطيفٌ هناك،» قالَتْ.

«ذاك سوارُكِ الذَّهبيُّ،» ردَّ مومين ترول. «وعقدُ الآنسةِ سنورك. أليسَتْ هذه فكرَةً جيِّدةً؟»

«رائع،» قالتِ الأم. «سنحتفظُ دائمًا بأساورنا في ماء البِركة البُنيِّ في المستقبل. إنَّها أجملُ بكثيرٍ هكذا.»

❀ ❀ ❀

وقفَت بنت الميمبل على درجِ بيت المومين الأماميِّ، وكاد صوتُها يُبحُّ تقريبًا من شدَّةِ الصُّراخِ. وماي الصَّغيرة لبثت قابعةً بهدوءٍ في أحد مخابِئها التي لا تُحصى، وأختها تعلم ذلك جيّدًا.

«لو كانت حكيمةً لاستعملَت نوعًا من الطُّعم بدلًا مِنَ الصُّراخ،» فكَّرت ماي الصَّغيرة. «العسلَ على سبيل المثال. وبعد ذلك تُعاقبني عندما أظهرُ.»

«يا ميمبل،» قال بابا مومين المسترخي على كرسيِّهِ الهزَّاز. «إذا واصلتِ الصِّياح هكذا لن تظهرَ أبدًا.»

«أفعلُ هذا لأُرضِيَ ضميري،» وضحت بنت الميمبل بشيءٍ من الخُيلاء. «ما أفعلُه يؤذيني أكثر ممَّا يؤذيها. عندما غادرت أمِّي قالت لي: أتركُ أختَكِ

الصَّغيرةَ تحت رعايتكِ، وإذا لم تفلِحي في تربيتها فلا أحدَ يمكنه أنْ يفعلَ، لأنَّني تخلَّيتُ عن هذه المهمَّةِ من البدايَةِ.»

«هكذا إذًا،» قال بابا مومين. «في هذه الحال صيحي كما تُريدِينَ، ما دام هذا يخفِّفُ من قلقكِ.» ثم مدَّ يدَه نحو قطعةِ كعكٍ من على طاولة الغداءِ، تلفَّت ناظرًا حوالَيه بحرصٍ، ثمَّ غمسهَا في دورق القشدَةِ.

أُعِدَّت طاولةُ الشُّرفةِ لخمسةِ أفرادٍ، وثمَّةَ صحنٌ سادسٌ تحتها؛ لأنَّ بنتَ الميمبل أعلنَتْ بأنَّها تشعرُ بمزيدٍ من الاستقلاليَّةِ هناك.

صحنُ ماي كان طبعًا صغيرًا جدًّا، ووضِعَ في ظلِّ إناءِ زهورٍ وسط الطَّاولةِ.

أقبلت ماما مومين تعدو على طول ممرِّ الحديقةِ.

«لا داعيَ للعجلةِ يا عزيزتي،» قال بابا مومين. «تناولْنَا وجبةً خفيفةً في حجرةِ المؤنِ.»

توقَّفتْ ماما مومين لتنظرَ إلى طاولةِ الغداءِ. كان مفرشُها مبقَّعًا بالسُّخامِ.

«أوه يا ربِّي،» هتفَتْ. «يا له من يومٍ حارٍّ ومفعم بالسُّخام. البراكين ليست إلَّا مصدرَ إزعاجٍ.»

«لو أنَّه فقط ليس بعيدًا كثيرًا،» بدأ بابا مومين. «لتسنَّى للمرء أنْ يعثُرَ على ثقَّالة ورقٍ من الحممِ النَّقية،» أضافَ بشوقٍ.

نعم، كان فعلًا يومًا حارًّا.

لزمَ مومين ترول مكانَه قربَ البركةِ، والتفتَ يتأمَّلُ السَّماءَ التي تحوَّل لونُها إلى أبيضَ برَّاقٍ مثل ملاءةٍ من الفضَّة. واستطاع سماعَ النَّوارسِ تنعقُ مناديةً بعضَها عند شاطئِ البحرِ.

هناك عاصفةٌ رعديَّةٌ قادمةٌ، فكَّر مومين ترول والنُّعاس يغالبُه، ثم نهضَ من على العشب. وكالعادة، كلَّما تغيَّرت أحوال الجوِّ، أو حلَّ الغسق، أو ظهرَ ضوءٌ غريبٌ في السَّماء، لاحظ أنَّه يشتاق إلى سنفكين.

سنفكين هو أفضلُ صديقٍ لديه. هو طبعًا يحبُّ الآنسة سنورك كثيرًا، لكنَّ الحالَ مع البنات مختلفةٌ. كان سنفكين مخلوقًا هادئًا ومعلوماتُه عن الأشياءِ هائلةٌ، إلّا أنّه ما أتى على ذكر أيٍّ منها من غيرِ داعٍ. فقط ما بين حينٍ وآخرَ يتطرَّق إلى الحديث قليلًا عن أسفارهِ، وهذا يجعل المرءَ يشعر بالفخرِ نوعًا ما، كما لو أنَّ سنفكين جعلَه عضوًا في جمعيَّةٍ سرِّيَّةٍ. بدأ مومين ترول سباتَه الشَّتويَّ مع الآخرين عندما سقطت أوَّلُ رقاقةِ ثلجٍ. وفي تلك الفترة يرحل سنفكين دائمًا إلى الجنوب، ويعود إلى وادي المومين في موسمِ الرَّبيع.

إلَّا أنَّه لم يعدْ في هذا الرَّبيع!

بادرَ مومين ترول إلى ترقُّب عودة صديقه حالما صحَا من السُّباتِ، بيد أنَّه لم يسارِرِ الآخرين بذلك. ثم نفدَ صبرَهُ عندما بدأتِ الطُّيور تحلِّقُ عاليًا في الوادي، وكذلك ذابَ الثَّلجُ عنِ المنحدراتِ الشَّمالية، فسنفكين لم يسبق له قطُّ أن تأخَّرَ إلى هذا الحدِّ. ثم أقبلَ الصَّيف، ونمَا العشبُ وطالَ في أرجاءِ مكان تخييم سنفكين قرب النَّهر، كما لو أنْ لَا أحد أقامَ هناك من قبلُ.

معَ ذلك بقي مومين ترول ينتظر، لكن ليس بلهفةٍ عظيمَةٍ، انتظرَ بشيءٍ مِنَ العتبِ والشُّعورِ بالضَّجرِ.

أتتِ الآنسة سنورك على ذكرِ الموضوعِ مرَّةً، وهم جالسُونَ إلى طاولةِ العشَاءِ.

«تأخَّر سنفكين هذه السَّنة كثيرًا،» قالَتْ.

«مَن يدري، ربَّما لن يأتيَ أبدًا،» علَّقت بنتُ الميمبل.

«أنا متأكِّدةٌ من أنَّ الغروك نالَتْ منه!» صاحَتْ ماي الصَّغيرةُ. «أو أنَّه سقطَ في هُوَّةٍ، وأصبحَ أشلاءً!»

«صه يا صغيرتي،» قاطعَتهَا ماما مومين بسرعةٍ. «تعرفينَ أنَّ سنفكين ينجو دائمًا.»

لكن على الرَّغمِ من كلِّ شيءٍ، مشى مومين ترول على طول ضفَّةِ النَّهرِ، وهو مستغرقٌ في التَّفكيرِ. هناك الغروك وهناك رجال الشُّرطةِ. وأغوارٌ قد يسقطُ فيها المرءُ. ويحدثُ أنَّ النَّاسَ يتجمَّدونَ حتَّى الموتِ، أو تتقاذفُهم الرِّياحُ، أو يغرقونَ في البحر، وقد يغصُّون بحسك سمكِ الرَّنغة، والعديد العديد من الأشياءِ الأخرى.

إنَّ العالمَ الكبيرَ خَطِرٌ. حيث لا يعرف فيه أحدٌ أحدًا، ولا أحد يعرف ما يحبُّه الآخرُ وما يخافُ منهُ. وهناك يتجوَّل سنفكين الآن معتمرًا قبَّعته الخضراءَ القديمة... وهناك حارسُ الحديقةِ عدوُّه اللدودُ. عدوٌّ فظيعٌ، فظيعٌ جدًّا...

وقفَ على الجسرِ، وحدَّقَ باكتئابٍ في الماء. في تلك اللحظة لمسَتْ كتفَهُ يدٌ. التفَتَ مومين ترول مجفلًا.

«أوه، هذهِ أنتِ،» قالَ.

«لا أدري كيف أشغلُ نفسي،» بادرَتِ الآنسة سنورك إلى القولِ، وهي تمنحهُ نظرةً مناشدةً من تحت غرَّتِها.

كانت تضع إكليلًا من الزُّهور حول أذنَيها، ومنذُ الصَّباح شعرَتْ بالملل.

ندَّ عن مومين ترول صوتٌ ودودٌ ومهمومٌ قليلًا.

«هيَّا نلعبُ،» قالَتِ الآنسةُ سنورك. «نتظاهرُ بأنَّني بنتٌ رائعَةُ الجمالِ تتعرَّضُ للاختطافِ من قِبلِك.»

«أنا حقًّا لا أدري إنْ كنْتُ في مزاجٍ لهذا،» أجابَ مومين ترول.

تدلَّت أُذنَا الآنسةِ سنورك، فعاجَل إلى فرك أنفِهِ بأنفِهَا وقال: «لا حاجة لأنْ تتخيَّلِي أنَّك بديعةُ الجمالِ لأنَّ هذا ما أنتِ عليه. ربَّما أشعرُ أنَّني أودُّ اختطافَك غدًا.»

❃ ❃ ❃

مرَّ يوم حزيران ذاك، وبدأ الغسقُ ينتشرُ لكنَّ الجوَّ بقِيَ حارًّا كما كانَ.

الهواءُ جافٌّ وحارقٌ تقريبًا ومُفعمٌ بالسُّخام المتطايرِ، وعائلَةُ المومين شعرتْ بالإعياء، وغدَتْ كئيبَةً وصامتَةً وغيرَ اجتماعيَّةِ. أخيرًا طرأت فكرةٌ على ماما مومين، وأعلنَتْ أنَّ على الجميع النَّومَ في الحديقةِ في تلك الليلةِ. أعدَّت لهم الفراشَ في أماكنَ لطيفةٍ، وإلى جانبِ كلِّ فراشٍ وضعَتْ فانوسًا صغيرًا حتَّى لا يشعرَ أحدٌ بالوحشَةِ.

تقوقَعَ مومين ترول والآنسة سنورك تحتَ الياسمين، لكنَّ النَّومَ جافاهما.

لمْ تكنْ ليلةً عاديَّةً. كانت ليلةً ساكنةً على نحوٍ غريبٍ.

«الجوُّ حارٌّ كثيرًا،» تذمَّرتِ الآنسةُ سنورك. «لا أكفُّ عنِ التَّقلُّب والاستدارةِ، والملاءاتُ رهيبةٌ، ولنَ ألبثَ أنْ أَبدأَ في التَّفكيرِ بأشياءَ غيرِ محبَّبةٍ.»

«وأنا كذلك،» قالَ مومين ترول.

اعتدلَ وأجال نظرَهُ في الحديقة. بدا له أنَّ الآخرينَ نائمونَ، والفوانيس تضيءُ برفقٍ قرب المفارش.

فجأةً اهتزَّتْ أشجارُ الياسمين واضطربت بشدَّةٍ.

«أرأيتَ هذا؟» سألتْهُ الآنسةُ سنورك.

«لقدْ هدأتِ الآن،» أجاب مومين ترول.

وبينما هو يقولُ ذلك انقلبَ الفانوسُ على العشبِ.

ارتعشَتِ الأزهار في الأرض، ثم بدأَ فلعٌ أرضيٌّ ضيِّقٌ يدبُّ قدمًا، وأخذ يزحفُ ببطءٍ عبرَ العشب. زحف وزحفَ واختفى أخيرًا تحت المِفرش. ثم اتَّسعَ. بدأتِ التربةُ تتقطَّرُ فيه، وبعد لحظةٍ انزلقت فرشاة أسنان مومين ترول في جوف الأرض المظلمَةِ التي فغرَتْ فاهها.

«كانت فرشاةَ أسنانٍ جديدة!» صاح مومين ترول. «أتستطيعين رؤيتَها؟»

حشرَ أنفه في الشَّقِّ ودقَّق النَّظر. فجأةً انغلقَتِ الأرضُ ثانيةً، مصدرَةً صوتَ همهمةٍ خفيفةٍ.

«جديدةٌ،» كرَّر مومين ترول وهو شبهُ ساهمٍ. «زرقاءُ.»

«تخيَّلْ فقط لو أنَّ ذيلك علقَ في الشَّق،» واسَتْهُ الآنسة سنورك. «حينها ستضطرُّ إلى الجلوس حيث أنتَ لبقيَّةِ حياتِك!»

قام مومين ترول بسرعةٍ. «تعالي،» هتف. «سننامُ في الشُّرفةِ.»

كان بابا مومين يقفُ عند الدَّرج يتشمّم الهواء. وفي الحديقةِ سرَى حفيفٌ مضطربٌ، وأسرابُ طيورٍ تستنفر، وأقدامٌ صغيرةٌ تعدو خلال العشبِ.

دفعت ماي الصَّغيرة رأسَها من زهرة الشَّمسِ على مقربةٍ من الدَّرجِ وصاحَتْ بسعادةٍ: «ها قد بدأنَا!»

من الأعماقِ تحتَ أقدامهم تصاعدت قرقرةٌ خافتةٌ، ومن المطبخِ سمعُوا وقع تحطُّمٍ صاخبٍ بينما سقطَتِ القدورُ والمقالي من على الرُّفوفِ.

«أهو الفطور؟» هتفَتْ ماما مومين التي بوغتَتْ من نومِها. «ما الأمرُ؟»

«لا شيءَ يا عزيزتي،» أجابَ بابا مومين. «أظنُّ أنَّه البركان ثانيةً... أوه! تخيَّلي فقط كلَّ ثقَّالات الورق تلك...»

في هذه الأثناءِ استيقظت بنت الميمبل أيضًا. وتجمَّعوا كلُّهم عند درابزين الشُّرفةِ، يتشمَّمون الهواء وعيونُهم متَّسعةٌ.

«أين ذلك البركانُ؟» استفهمَ مومين ترول.

«في جزيرةٍ صغيرةٍ قبالة السَّاحلِ،» أجاب بابا مومين. «جزيرةٌ صغيرةٌ سوداءُ لا ينمو فيها شيء.»

«ألا تعتقدُ أنَّها خطرةٌ ولو قليلًا؟» همسَ مومين ترول ووضعَ يده بيدِ بابا مومين.

«أوه بلى،» ردَّ بابا مومين بلطفٍ. «قليلًا جدًّا.»

هزَّ مومين ترول رأسَه بارتياحٍ.

وفي تلك اللحظة سمعُوا الدَّمدمةَ الرَّهيبَةَ.

جاءت تكرُّ عبر البحر، واطئةً في البداية ومهمهمةً، ثمَّ ازدادت جسامَةً وقوَّةً أكثر فأكثر.

في الليلِ الصَّافي استطاعوا أن يرَوا شيئًا هائلًا يعلو فوق قممِ أشجَارِ الغَابَةِ، مثل جدارٍ عظيمٍ ما انفكَّ ينمو وينمو مُكلَّلًا برغوةٍ بيضاءَ.

«أرى أنَّه منَ الأفضل لنا دخولُ غرفةِ الجلوسِ الآن،» اقترحَتْ ماما مومين.

لم تُتَح لهم أيُّ فرصةٍ أكثر من المرور بذيولهم من الباب عندما أطبقت موجةُ الفيضانِ على وادي المومين وأغرقَتْ كلَّ شيءٍ في الظَّلام. اهتزَّ البيتُ قليلًا لكنَّه لم يتزعزعْ. كان متينَ البناء وبيتًا جيِّدًا جدًّا. لكن بعد فترةٍ بدأ أثاثُ غرفةِ الجلوس يعومُ فيهَا. فصعدتِ العائلَةُ إلى الطَّابقِ العلويِّ، وجلسَتْ تنتظر تراجعَ العاصفةِ.

لم أشهدْ مثل هذا الجوِّ منذ أيامِ شبابي،» قال بابا مومين باسمًا وهو يشعلُ شمعةً.

في الخارجِ كانت الليلةُ في صخَبٍ مطلَقٍ، تخبط وتكسِّر الأشياء وتضرب مصاريعَ النَّوافذِ والأبواب بالأمواجِ الثَّقيلةِ.

جلست ماما مومين على الكرسيِّ الهزَّازِ بذهنٍ شاردٍ، وأخذَتْ تهزُّه ببطءٍ.

«أهذهِ نهايةُ العالَم؟» سألت ماي الصَّغيرة بفضولٍ.

«ذاك أقلُّ ما يمكن أنْ يحدثَ،» أجابت بنت الميمبل. «لذا حاوِلِي الآن أن تحسِني التَّصرُّفَ إذا أسعفكِ الوقت، لأنَّنا خلال برهةٍ قصيرةٍ سنصعدُ كلُّنا إلى السَّماء.»

«السَّماء؟» استفسرت ماي الصَّغيرة. «أيتحتَّمُ علينا هذا؟ وكيف يستطيعُ المرء أن ينزلَ ثانيةً؟»

اصطدمَ شيءٌ ثقيل بالبيتِ واضطربت شعلةُ الشَّمعةِ.

«ماما،» همسَ مومين ترول.

«نعم يا صغيري،» قالَتِ الأمُّ.

«نسيتُ قاربَ اللحاءِ في البركةِ.»

«سيكون هناك غدًا،» ردَّت ماما مومين. ثم فجأةً توقَّفت عن هزِّ الكرسيِّ وهتفت: «آه، أوه، كيف فعلتُ ذلك!»

«ماذا؟» سألَتها الآنسةُ سنورك بنبرةٍ متحفزةٍ.

«القارب، نسيت صنعَ هيكلٍ خشبيٍّ له. تولَّد لدي شعورٌ مؤكَّدٌ بأنَّني نسيت

شيئًا مهمًّا.» أجابت ماما مومين.

«وصل الماء الآن إلى الصّمامات،» أعلن بابا مومين الذي استمرَّ يجري إلى غرفةِ الجلوس ليقيسَ مستوى الماء. التفتُوا ينظرون ناحيةَ الدَّرج وهم يفكِّرون في تلكَ الأشياءِ كلِّها التي ستكونُ أفضلَ وهي جافَّةٌ. «هل أدخَلَ أحدٌ الأرجوحةَ؟» سألَهم بابا مومين فجأةً. لا، لا أحد تذكَّرَ الأرجوحةَ.

«لا بأس،» قال بابا مومين. «كان لونُها فظيعًا.»

جعلَهم حفيفُ الماء وهسيسُه في الخارج يشعرون بالنُّعاس. وهكذا تقوقعُوا واحدًا تلو الآخر على الأرضيَّةِ ونامُوا. وقبل أن يُخمدَ بابا مومين الشَّمعة ضبطَ المنبِّه على السَّاعةِ السَّابعةِ.

كان في أشدِّ الفضولِ ليرى ما حدث في الخارجِ.

2

عن الغوصِ من أجل الفطورِ

أخيرًا عادَ الفجرُ وانبلجَ ثانيةً.

ظهرتِ الشَّمسُ في البداية على هيئةِ شريطٍ ضيِّقٍ تلوَّى على طول الأفقِ قبل أنْ تتجاسرَ وترتفعَ عاليًا نحو السَّماءِ.

كان الجوُّ هادئًا ولطيفًا. أمَّا الأمواجُ، فراحت بارتباكٍ جيَّاشٍ تغسل بِقَاعًا جديدةً ما سبقَ لها قطُّ أنِ التقَت بالبحر. والبركانُ الذي استهلَّ البلبلةَ هدأَ. وما بين حينٍ وآخرَ تنهَّد بإعياءٍ، وأطلقَ أنفاسَه المُحمَّلةَ بقليلٍ من الرَّماد تُجاه السَّماء.

في السَّابعة تمامًا جلجلَ رنينُ المنبِّه.

استيقظَتْ عائلة المومين فورًا، وهرعَ الجميعُ إلى النَّافذةِ لإلقاءِ نظرةٍ. رفعوا ماي الصَّغيرة إلى عتبتها، وبنت الميمبل مسكَتها بحزمٍ من ثوبِها لتحولَ دونَ سقوطِها.

لقد تغيَّر العالَمُ في الحقيقةِ.

ففوقَ الماء الفائرِ لمْ تبقَ سوى قطعة من سقف كوخ الخشبِ. وأناسٌ قلائل، مؤكَّدٌ أنَّهم من أهل الغابة، جلسُوا متكوِّمين عليها، يرتجفونَ منَ البردِ.

كانت رؤوسُ الأشجار منبثقةً من الماءِ، وأخاديدُ الجبلِ حول وادي المومين أصبحَتْ عناقيدَ من جزرٍ صخريَّةٍ.

«أحببتُ الأوضاع أكثر كما كانت في السَّابق،» قالت ماما مومين، ثمَّ ضيَّقت عينيها أمامَ شمسِ الصَّباح التي أقبلت تبسط أشعَّتها على الفوضى المنتشرَةِ، حمراء وكبيرة مثل قمرٍ خريفيٍّ.

«ولا قهوة صباحٍ لدينا،» قال بابا مومين.

رنَت ماما مومين إلى الدَّرج الذي اختَفى في الماء العكرِ. فكَّرت في مطبخِها، ثمَّ انتقلَتْ أفكارُها إلى علبةِ القهوةِ على قاعدةِ المدخنَةِ، تساءَلت ما إذا كانت تذكَّرت أن تُحكِمَ إغلاقَ غطائِهَا. وتنهَّدت.

«سأغوصُ من أجلِ القهوةِ،» اقترحَ مومين ترول الذي أخذت أفكارُه المنحى نفسَه تمامًا.

«ليس في وسعكَ أنْ تحبسَ أنفاسَك مدَّةً طويلةً يا عزيزي،» ردَّت ماما مومين بقلقٍ.

عاينهما بابا مومين بنظرةٍ غريبةٍ. «لطالما فكَّرتُ،» همهم بذهنٍ ساهمٍ، «أنَّ المرء عليه أحيانًا أن يتأمَّلَ مسكَنه من السَّقفِ بدلًا من الأرضيَّةِ.»

«أتعني...؟» هتف مومين ترول بابتهاجٍ.

هزَّ بابا مومين رأسه إيجابًا. اختفى في غرفته، وسرعان ما عاد ومعه مثقابٌ ومنشارٌ نحيلٌ.

تحلَّق الجميعُ حولَه وراقبوه باهتمامٍ وهو يعمل. وعلى الرَّغم من أنَّ بابا مومين رأى أنَّ نشرَ الأرضيَّةِ تصرُّفٌ رهيبٌ، إلَّا أنَّه في الوقت نفسه يفي كثيرًا بالغرض المطلوب.

❀ ❀ ❀

بعد دقائقَ قليلةٍ وللمرَّةِ الأولى في حياتها شاهدت ماما مومين مطبخها من السَّقف. نظرت مبهورةً إلى حوض سمكٍ خافتِ الإضاءةِ بلونٍ أخضرَ فاتحٍ. استطاعت لمح الموقد وحوض الجلي ودلو فضلات الطَّعام في الأسفل. أمَّا الكراسي والطَّاولة فكانت كلُّها تعوم على مقربةٍ من السَّقف.

«يا ربِّي، هذا مشهدٌ طريفٌ،» قالت ماما مومين وانفجرَتْ بالضَّحك.

ضحكت كثيرًا جدًّا بحيث اضطرَّت إلى الجلوس على الكرسيِّ الهزَّازِ ثانيةً. بدا لها أنَّ رؤيةَ المرءِ لمطبخه من الأعلى شيءٌ منعشٌ جدًّا.

«جيِّدٌ أنَّني أفرغتُ الماءَ القذرَ،» قالت وهي تجفِّفُ دموعها. «ونسيتُ أنْ أحضرَ الحطبَ!»

«سأغوص الآن ماما،» قال مومين ترول.

«أخبريه ألَّا يفعلَ، رجاءً، رجاءً،» توسَّلتِ الآنسة سنورك بقلقٍ.

«حسنًا، ما الدَّاعي لأن أمنعَه؟» ردَّت الأمُّ. «ما دام يظنُّ أنَّ هذا مثيرٌ.»

وقف مومين ترول ساكنًا للحظة وأخذ عدَّة أنفاسٍ عميقةٍ. ثمَّ غاص نحو المطبخ.

سبح مباشرةً إلى حجرةِ المؤنِ، ونجح في فتح الباب. في الدَّاخل كان الماءُ أبيضَ من الحليب، تتخلَّله بضع بقعٍ من مربَّى التُّوت. عَامَ قربه ببطء رغيفَا خبزٍ، وتبعهما صفٌّ كاملٌ من عيدان المعكرونَةِ. اختطف مومين ترول وعاءَ الزُّبدة، حمل إحدى علبِ قهوةِ ماما مومين، ثم سبحَ إلى السَّقفِ وأخذَ نفسًا عميقًا.

«ها! لقد أحكمتُ إغلاقَ الغطاءِ!» هتفَتْ أمُّه بابتهاجٍ. «هذه نزهةٌ مثاليَّةٌ. أتظنُّ أنَّك تستطيع العثورَ على إبريقِ القهوةِ وبعض الفناجين أيضًا؟»

في الحقيقة ما سبق لهم قطُّ أن اختبرُوا فطورًا أكثر إثارةً.

التقطوا كرسيًّا عائمًا لا أحد أحبَّه في يومٍ وكسرُوه. لسوءِ الحظِّ كان السُّكَّر قد ذاب، لكنَّ مومين ترول عثر على علبةِ الدُّبس بدلًا منه. غرَفَ بابا مومين بالملعقة من الوعاءِ مباشرةً، وماي الصَّغيرة خدمت نفسها بالمثقابِ حيث جوَّفت لنفسها طريقًا عبر رغيف الخبز من غير أن يعلِّقَ أحدٌ على هذا بكلمةٍ.

مرارًا وتكرارًا غاص مومين ترول لجلبِ أشياءَ أخرى، وبالتَّالي نثر الماء في جميع أرجاء الغرفة.

«لن أغسلَ أيَّ صحنٍ اليوم،» قالت ماما مومين بفرحٍ بالغٍ. «مَن يدري، ربَّما لن أغسلَ مزيدًا من الصُّحون بعد اليوم. لكن رجاءً، ألَا يمكننا أن ننقذَ أثاث غرفةِ الجلوس قبل أنْ يفسدَ؟»

✽ ✽ ✽

في الخارج ازدادَتْ حرارة الشَّمس وانحسرَ البحر المُتثاقل.

هلَّلت المخلوقات التي على سقف كوخ الحطَبِ العائم، وبالتّالي بدأَ الغيظ يعتريها من الفوضى المحيطة بها.

«هذه الأمور لمْ تحدث قطُّ في زمن أمِّي،» صرَّت الفأرةُ مدبِّرةُ المنزلِ باشمئزازٍ، وهي تمشِّط ذيلَها بعصبيَّةٍ. «ببساطة لم يكن مسموحًا لها أنْ تحدثَ! لكنَّ الزَّمان يتغيَّر والشُّبان يفعلون ما يحلو لهم في الوقت الحاضر.»

دنَا من المجموعةِ أكثر من السّابق مخلوقٌ بريٌّ صغيرٌ وجديٌّ وقال: «لا أعتقد أنَّ الشَّبابَ قادرون على التَّسبب بموجةِ فيضانٍ عظيمةٍ. نحن في هذا الوادي أصغرُ بكثيرٍ من أن نولِّدَ الأمواجَ في أيِّ شيء باستثناءِ بِرك الماء والدِّلاء. أو ربَّما في فناجينِ الشَّاي.»

«أيحاولُ الفتى أن يسخرَ من شخصٍ ما؟» تساءلَتِ الفأرة مدبِّرةُ المنزلِ وهي ترفعُ حاجبَيها.

«بالتَّأكيد لا،» أجابَ المخلوقُ الصَّغير الجدِّي. «لكنَّني أعملتُ ذهني وأعملتُه طوال الليل. من أين تأتي هذه الأمواج الهائلة طالما أنْ لا عاصفة هناك؟ هذا مثيرٌ للاهتمام كثيرًا، ألا ترَون؟ وأنا أعتقدُ أنَّه إمَّا...»

«وهل لي أن أسألَ ما اسم الفتى؟» قاطعتْه الفأرةُ مدبِّرةُ المنزل.

«هومبر،» أجاب المخلوقُ الصَّغيرُ برحابةِ صدرٍ. «لو استطعنا فقط أن نفهمَ كيف حدث ذلك كلُّه، حينها ستبدو الموجة العظيمة طبيعيَّةً جدًّا.»

«هه، طبيعيَّةً حقًّا!» صاحَت ميزابيل صَغيرة وسَمينة كانت قابعةً إلى جانبِه. «هومبر لا يستوعبُ! كلُّ شيءٍ يعاكسني، كلُّ شيءٍ، بمنتهى البساطةِ! ما قبلَ الأمسِ وضعَ أحدُهم كوزًا في حذائِي ليعيِّرَني بقدميَّ الكبيرتين، وأمس ضحكَ هيميولن ضحكةً ذاتَ مغزًى وهو يمرُّ قربَ نافذتي. والآن هذَا!»

«أجاءَ هذا الفيضانُ العظيمُ لمجرَّدِ أنْ يغيظَ ميزابيل؟» زقزقَ صوتٌ صغيرٌ متسائلًا بدهشةٍ.

«لم أقلْ هذا مطلقًا،» أجابَتْ ميزابيل وهي تكادُ تهمُّ بالبكاءِ. «مَن قد يعيرُني اهتمامَه، أو يفعَل شيئًا من أجلِي؟ ناهيكَ عن موجَةِ فيضانٍ عاتيةٍ.»

«لعلَّ الكوزَ سقطَ صدفةً من شجرةِ صنوبرٍ؟» اقترحَ هومبر مواسيًا. «إذا كان كوزَ صنوبرٍ. أو ربَّما كوزَ شجرةِ تنُّوب. هذا إذا كان حجمُ حذائِك كبيرًا بما يكفي ليتَّسعَ لكوزِ تنُّوب؟»

«أعرف أنَّ قدميَّ كبيرتان،» غمغمت ميزابيل بمرارةٍ.

«أنا أحاولُ فقط أنْ أعلِّلَ،» قالَ هومبر.

«هذه مسألةُ شعورٍ،» ردَّت ميزابيل. «ومثلُ هذهِ الأمورِ لا يمكنُ أبدًا أنْ تُعلَّلَ.»

«أفترضُ هذا،» قال هومبر بنبرةٍ مغمومَةٍ.

في هذه الأثناء أنهَتِ الفأرةُ مدبِّرةُ المنزلِ تمشيطَ ذيلِها، ووجَّهَتِ اهتمامها نحوَ بيتِ المومين. «إنَّهم يُنقذون الأثاثَ،» قالَتْ وهي تمطُّ رقبتَها. «أرى أنَّ الأريكةَ

رثَّةٌ. وقد تناولوا وجبةَ الفطورِ! يا إلهي، بعضُ الأشخاصِ يعرفون كيف يتغلَّبونَ على المشاكلِ. الآنسةُ سنورك تهندمُ شعرَها، بينما نحنُ نغرقُ. هه،

حقًّا! الآن يرفعونَ الأريكةَ إلى السَّطح لتجفَّ. والآن يرفعون علمًا. بحقِّ ذيلِ ذيلي بعضُ النَّاس ينعمون بقَدرٍ كبيرٍ من الحريَّةِ والسَّلاسةِ.»

اتكأت ماما مومين على سورِ الشُّرفةِ، وهتفَتْ محيِّية المجموعةَ العائمةَ.

«صباحُ الخير!» صاحَ هومبر بلهفةٍ. «أيمكنُ أن نزورَكم؟ أم أنَّ الوقتَ مبكرٌ جدًّا؟ أنؤجل الزّيارة إلى ما بعد الظُّهر؟»

«تعالَوا رجاءً،» أجابتْ ماما مومين. «أحبُّ الزِّياراتِ الصَّباحيَّةَ.»

تريَّثَ هومبر برهةً بانتظارِ شجرةٍ مناسبةٍ تطفو مقتربَةً منهم وجذورُها في الهواءِ. قبضَ عليها بذيلِه وسألَ: «هل سيأتي أحدٌ منكم معِي؟»

«لا، شكرًا،» قالَتِ الفأرةُ مدبِّرةُ المنزلِ. «ذاكَ لا يناسِبُ ذوقي. يبدو بيتًا فوضويًّا.»

«لا أحدَ دعاني،» قالت ميزابيل بوجهٍ متجهِّمٍ.

ثم رأَتْ هومبر ينطلقُ، وجذعُ الشَّجرةِ ينزلقُ إلى الأمامِ. فجأةً شعرت ميزابيل أنَّها منبوذةٌ فقامَتْ بقفزةٍ مستميتَةٍ. ونجحَتْ في التَّشبُّثِ بأغصَانِ الشَّجرةِ، وساعدَها هومبر لتحطَّ على الجذعِ من دونِ أيِّ تعليقٍ.

ببطءٍ أبحرَا وهبطَا على سطح الشُّرفةِ. ثمَّ تسلَّقَا إلى الدَّاخل من أقربِ نافذةٍ.

«يسرُّني لقاؤكُما،» قالَ بابا مومين. «اسمحَا لي أنْ أعرِّفَكُما إِلى زوجَتي وابنِي والآنسةِ سنورك وبنتِ الميمبل وماي الصَّغيرةِ.»

«ميزابيل،» قالَتْ ميزابيل.

«هومبر،» قالَ هومبر.

«أنتم مهابيل!» قالَتْ ماي الصَّغيرةُ.

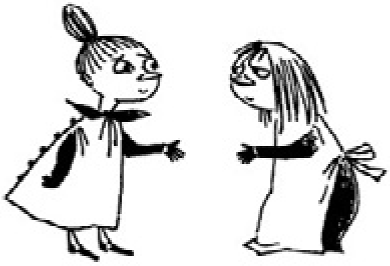

«صَه، هذا تعارفٌ،» فسَّرت لها أختُها بنت الميمبل. «يُستحسنُ أنْ تسكتي الآن لأنَّ هذه زيارةٌ رسميَّةٌ.»

«بيتُنا غيرُ مرتَّبٍ نوعًا ما اليوم،» قالت ماما مومين معتذرةً. «وأخشى أنَّ غرفةَ الجلوسِ تحتَ الماءِ.»

«أوه، لا يهمُّ،» أجابت ميزابيل. «لديكُم منظرٌ رائعٌ من هنَا. ويا له من جوٍّ بديعٍ هذا الذي نشهدُه.»

«أتظنِّينَ هذا؟» استفسرَ هومبر بشيءٍ منَ الدَّهشةِ.

احمرَّت ميزابيل خجلًا. «لم أقصد أن أتفوَّهَ بأكذوبةٍ،» قالت. «بدا لي وقعُ ما قلتُ لطيفًا.»

سادَ الصَّمتُ هناك.

«نحن في فوضى عارمة هنا، كما تريان،» تابعَتْ ماما مومين بحياءٍ. «مع ذلك أرى أنَّه أمرٌ لطيفٌ على سبيل التَّغيير. أصبحتُ الآن أرى مطبخي بنظرةٍ مختلفةٍ... خصوصًا والكراسي مقلوبة. وكيفَ أصبح الماءُ على حين غرَّةٍ دافئًا. نحن في عائلتنا نهوى السِّباحةَ كثيرًا.»

«نعم، صحيحٌ، أليس كذلك؟» علَّقت ميزابيل بأدبٍ.

سادتْ مهلةُ صمتٍ مرَّةً أخرى

ثمَّ سمعوا صوتَ تقطُّرِ ماءٍ خافتٍ

«يا ماي!» صاحتْ بنت الميمبل بصوتٍ صارمٍ.

«لستُ أنا،» اعترضَتْ ماي الصَّغيرة. «إنَّه البحرُ يدخلُ من نافذتِنا.»

كانت محقَّةً. إذ بدأَ الماءُ يرتفع مجدَّدًا. تدحرجَتْ موجةٌ فوق عتبةِ النَّافذةِ، ثمَّ موجةٌ أخرى. وفجأةً تكسَّرت موجَةٌ كاسحةٌ مجتاحَةً البيتَ وأغرقَتِ السَّجادةَ.

سارعت بنت الميمبل إلى وضعِ أختها الصَّغيرة في جيبِ ثوبها وهتفَت: «أيُّ حظٍّ ميمون أنَّنا نحبُّ السِّباحة كثيرًا في عائلتِنا!»

3

عنِ التَّأقلمِ مع الإقامَةِ في دارٍ مسكونَةٍ

كانَتْ ماما مومين تجلسُ على السَّقفِ، وفي حضنِهَا حقيبةُ يدهَا وسلَّةُ الأشغالِ وإبريقُ القهوةِ وألبومُ صورِ العائلةِ. وبين حينٍ وآخرَ اضطرَّتْ إلى التَّحركِ نحو الأعلى قليلًا مبتعدةً عنِ البحرِ المتصاعِدِ، بمَا أنَّها لا تستسيغ أنْ يتدلَّى ذيلُها في الماء. خصوصًا مع وجودِ زوَّارٍ لديها.

«نحن ببساطةٍ لا نستطيعُ أخذَ أثاثِ غرفةِ الجلوس كلِّه،» أعلن بابا مومين.

«يا عزيزي، ما فائدة الطَّاولاتِ بلا كراسٍ، والكراسِي بِلَا طاولاتٍ؟ وكذلك الأسِرَّةُ إِذا لم تكنْ هناك خزانةُ ملاءاتٍ؟» قالت ماما مومين.

«نعم، الحقُّ معكِ،» اعترفَ بابا مومين.

«ثم إنَّ مرآةَ البابِ مفيدةٌ جدًّا،» تابعتْ ماما مومين برقَّةٍ، «أنتَ تعرفُ كم من اللطيفِ أنْ تلقِيَ نظرةً على نفسكَ بالمرآةِ في الصَّباح، و...» أردفَت بعد فترةٍ،

«الأريكةُ ظريفةٌ كثيرًا عندما تجتَاحُكَ نوبةُ تأمُّلٍ هادئةٍ بعد الظُّهرِ.»

«لا، ليسَ الأريكة،» اعترضَ بابا مومين بحزمٍ.

«لا بأسَ، افعلْ ما تراهُ مناسبًا يا عزيزِي،» أجابَتْ.

أقبلَتِ الأشجارُ والشُّجيرات التي اجتثَّهَا الفيضانُ تعومُ على سطحِ الماءِ. العرباتُ اليدويَّةُ وأحواضُ العجنِ وعرباتُ الأطفالِ وصناديقُ السَّمكِ، ومنصَّاتُ المرافئِ والأسيجةُ كلُّها أبحرَت قدمًا، فارغَةً أو محمَّلةً بمخلوقاتٍ تهدَّمت بيوتُها. وجميعُها كانت أصغرَ من أنْ تُستخدمَ كناقلاتٍ لجناحِ غرفَةِ الجلوسِ.

بعد فترةٍ، دفعَ بابا مومين قبَّعتَه إلى الخلف وأحدَّ النَّظرَ في البحرِ. لمحَ شيئًا غريبًا يتقدَّمُ محمولًا على تيَّارِ الماءِ المندفِعِ. لمْ يستَطعْ بابا مومين أنْ يجزمَ إن كانَ ما يراه شيئًا خَطِرًا لأنَّ أشعَّةَ الشَّمسِ تسلَّطَتْ على عينَيهِ، لكنَّه علَى أيِّ حال بدَا مثلَ شيءٍ كبيرٍ، كبيرٍ بمَا يكفي ليحملَ عشرَ غرفِ جلوسٍ بل أيضًا عائلةً تفوقُ عددَ أفرادِ عائلَتِه.

من بعيدٍ بدَا ذلك الشَّيءُ كصفيحةٍ ضخمةٍ على وشكِ أنْ تغرَقَ. ثمَّ بدأَ يشبهُ صدفةَ بحرٍ طافيةٍ على سطحِ الماءِ.

التفت بابا مومين إلى عائلته وأعلَنَ: «أظنُّ أنَّنا سنتدبَّرُ أمورَنا.»

«طبعًا سنفعلُ،» أكَّدت ماما مومين. «نحن بانتظار العثورِ على بيتٍ جديدٍ لنَا فقط. الأشخاصُ السَّيئون وحدهم ينتهون إلى عاقبةٍ وخيمةٍ.»

«ليس دائمًا،» اعترضَ هومبر. «أعرفُ بعضَ الأوغادِ الذين لم يسقطوا قطُّ ولَا حتَّى في الماءِ.»

«يا للحياةِ الشَّقيَّةِ،» قَالت ماما مومين بنبرةِ تعجُّبٍ.

ما لبث الشَّيءُ الغريبُ أنِ ازدادَ في الانجرافِ تُجاههم. عندئذٍ بدا جليًّا لهم أنَّه أقربُ إلى بيتٍ. على سطحهِ رُسِمَ وجهانِ ذهبيَّانِ؛ أحدهما يبكِي والآخرُ يضحكُ في وجهِ عائلةِ المومين. تحتَ الوجهَين المُعبِّرَين انفتَحَ مَا يشبهُ الكهفَ المستديرَ المجلَّلَ بالظَّلامِ وخيوطِ العناكبِ. وبدا من الواضحِ أنَّ الفيضانَ العظيمَ حملَ معه أحدَ جدرانِ ذلك البيتِ. وعلَى جانِبَي الفتحةِ المظلمَةِ تدلَّت ستائرُ مخمليَّةٌ مَا انفكَّت تجرجِرُ أذيالَها في الماءِ بطريقَةٍ محزنَةٍ.

حدَّق بابا مومين بدهشَةٍ في ما بين الظَّلالِ.

«أهناك أحدٌ في البيتِ؟» صاحَ بحذرٍ.

لا جواب. سمعوا خبطَ بابٍ مفتوحٍ تناغمًا مع ترنُّحِ البحرِ، وشاهدُوا أكوامَ الغبار تتطايرُ ذهابًا وإيابًا على الأرضيَّة الخاويةِ.

«عساهم نجَوا،» هتفَتْ ماما مومين بصوتٍ قلقٍ. «يا للعائلةِ المسكينَةِ. كيف كانوا يا ترى؟ فظيعٌ جدًّا أن يُسلبَ بيتُهم منهم هكذا...»

«يا عزيزتي، الماءُ يزدادُ ارتفاعًا.» نبَّهها بابا مومين.

«أعرفُ، أعرفُ،» أجابَتْ ماما مومين. «أفترضُ أنَّ علينا أنْ ننتقِلَ إذًا.»

تسلَّقت ماما مومين إلى بيتها الجديد وتلفَّتت تنظر حواليها. هؤلاء النَّاسُ كانوا فوضويِّين قليلًا، كما لاحظَتْ. لكن، مَن ليس كذلك! ولاحظَتْ أنَّهم يحتفظون بكثيرٍ من الأغراضِ القديمةِ غيرِ المُستعملةِ. مؤسفٌ طبعًا انهيارُ أحدِ الجدرانِ، لكن هذا ليس مهمًّا كثيرًا ما دامُوا الآن في الصَّيف.

«أين نضع طاولةَ غرفةِ الجلوسِ؟» سألَ مومين ترول.

«هنا، في الوسط،» ردَّت ماما مومين. وعندما رُتِّبت كراسي غرفةِ الجلوسِ الجميلةِ ذاتِ المخملِ الأحمرِ القاني والشَّراباتِ المتدلِّيةِ، شعرت ماما مومين بارتياحٍ عظيمٍ، وبسعادةٍ جلست عَلَى كرسيِّها الهزَّاز، وبدأت تحلمُ بالسَّتائرِ وورقِ الجدرانِ الأزرق كزرقةِ السَّماءِ.

«لم يبقَ هناك فوق الماء سوى ساريةِ العلمِ،» قالَ بابا مومين بصوتٍ حزينٍ.

ربَّتت ماما مومين يده وأجابَتْ: «كان بيتًا لطيفًا، أفضلَ بكثيرٍ من هذا. لكن بعد فترةٍ ستشعرُ أنَّ كلَّ شيءٍ مألوفٌ كالمعتادِ.»

(صديقي القارئ، كانت ماما مومين مُخطئةً تمامًا. لا شيءَ في ذلك البيت سيجري بسلاسةٍ، لأنَّ البيتَ ليس بيتًا عاديًا أبدًا، ولم تسكن فيه سابقًا عائلةٌ عاديَّةٌ. ولن أخبركَ بالمزيدِ الآن.) «هل أُنقِذُ العلَمَ؟» سألَهم هومبر.

«لا؛ اتركْهُ،» أجابَ بابا مومين. «يبدو في غايةِ الشُّموخِ هناك.»

ببطءٍ انجرفَ بهم البيتُ الجديدُ على طول وادي المومين. واستمرُّوا يلمحون العلمَ، وهو يلوِّحُ لهم بتحيَّةِ وداعٍ مرحةٍ فوقَ الماءِ إلى أن وصلُوا إلى أوَّلِ معبرٍ يُؤدي إلى الجبالِ المهجورَةِ.

✽ ✽ ✽

حضَّرت ماما مومين الطَّاولةَ للعشاءِ في دارِهَا الجديدةِ.

بدَتِ الطَّاولةُ وحيدةً إلى حدٍّ ما في الغرفةِ الواسعةِ والغريبَةِ. ومن حولِهم وقفَتِ الكراسي وخزانةُ المرآةِ ودولابُ الكتَّان تراقبُ، وخلفَ تلك الأشياءِ كانت تترصَّدُ بهم فسحةُ ظُلمةٍ وصمتٌ وغبارٌ. السّقفُ حيثُ ينبغي أنْ يتدلَّى مصباحُ غرفَةِ الجلوسِ بشكلٍ آمنٍ مع حافَّتِهِ ذاتِ الشُّراباتِ الحمراءِ، كان

الأغربَ من كلِّ شيءٍ. بدا تائهًا وسطَ ظلالٍ غامضةٍ تتحرَّكُ وتُرفرفُ، بينما واصلَ شيءٌ ضخمٌ ومبهمٌ يهتزُّ ببطءٍ ذهابًا وإيابًا مع ترنُّحِ البيتِ في الماءِ.

«ثمَّةَ أشياءُ كثيرةٌ يعجز المرءُ عن استيعابِها،» غمغمَتْ ماما مومين لنفسِها. «لكن لماذا يجبُ أنْ يكونَ كلُّ شيءٍ كما ألِفه المرءُ؟»

حسبَتْ عددَ أكوابِ الشَّاي على الطَّاولةِ، ولاحظَتْ أنَّهم نسَوا جلبَ مربَّى البرتقالِ معهم.

«كم هذا مؤسفٌ،» غمغمت ماما مومين. «كما لو أنَّني لا أعرِفُ أنَّ مومين ترول يحبُّ مربَّى البرتقال مع الشَّاي. كيفَ غفلتُ عن ذلِكَ؟»

«لعلَّ النَّاسَ الذين عاشُوا هنا سابقًا نسَوا أيضًا أخذ مربَّى البرتقال معهم؟» اقترحَ هومبر بصوتٍ مُتفائلٍ. «ربَّما صعُبَ عليهم حزمُه؟ أو أنَّ الكميةَ المتبقيّةَ في القدرِ أقلُّ من أن يبالوا بها؟»

«حسنًا، هذَا إذَا استطعْنَا العثورَ عليهِ،» أجابَتْ ماما مومين بنبرةِ شكٍّ.

«سألقِي نظرةً،» اقترحَ هومبر. «لا بدَّ من وجودِ مخزَنِ مؤنٍ في مكانٍ مَا هُنا.»

وهكذَا سلكَ طريقَهُ نحو الظَّلامِ.

في منتصفِ الأرضيَّةِ انتصبَ بابٌ لا يحدُّه شيءٌ. مع ذلك ولجَهُ هومبر لمجرَّدِ الاقتداءِ بالشَّكليَّاتِ. ودُهشَ عندما اكتشفَ أنَّهُ مصنوعٌ مِنَ الخشبِ الرَّقيقِ، ومن جهتِهِ الأخرَى رُسِم عليهِ موقدُ قرميدٍ. ومن هناك نزلَ على درجٍ، ووجدَ أنَّهُ ينتهي في الفراغِ.

«شخصٌ ما يمازحُنِي،» فكَّر هومبر. «إنَّمَا أنَا لا أعتقد أنَّ هذا طريفٌ. أيُّ بابٍ يجبُ أن يؤدِّي إلى مكانٍ ما وكذلك أيُّ دَرَجٍ. كيف يمكن أن تكونَ الحياةُ لو أنَّ أيَّ ميزابيل تصرَّفت فجأةً مثلَ أيِّ ميمبل، أو أيِّ هومبر مثلَ أيِّ هيميولن؟»

على مسافةٍ أبعدَ رأى أكوامًا من القمامَةِ؛ إطاراتٍ عجيبةً مِنَ الجصِّ والخشَبِ الرَّقيقِ والجِنفاصِ، أشياء من الواضحِ أنَّها مكسَّرةٌ إلى درجةِ أنَّ العائلةَ السَّابقةَ لمْ تهتمَّ بتخزينِها في العلِّيَّةِ، أو أنَّها بدأَتْ تصلِّحها لكنَّها لم تنهِ العملَ قطُّ.

«عن أيِّ شيءٍ تبحثُ؟» سألته بنتُ الميمبل التي خرجَتْ من خزانةٍ لا رفوفَ لها ولا ظهرَ.

«مربَّى برتقالٍ،» أجابَ هومبر.

«يبدو أنَّه توجد هنا كلُّ أنواعِ الأشياءِ،» قالت بنت الميمبل، «لذا ما المانعُ من وجودِ مربَّى البرتقالِ. لا ريبَ في أنَّها كانت عائلةً مسلِّيةً.»

«شعرنا بوجود أحدِهم،» أعلنت ماي الصَّغيرة بطريقةٍ لافتةٍ للاهتمامِ. «شخصٍ لمْ يرغبْ في إظهارِ نفسِه!»

«أينَ؟» سألَ هومبر.

أشارتْ بنت الميمبل نحو زاويةٍ مظلمةٍ حيثُ أكوامُ القمامةِ تبلغُ السَّقفَ، وعلى الحائطِ المجاورِ تستندُ نخلةٌ، وسعفُها المصنوعُ من الورقِ يحفُّ بطريقةٍ كئيبةٍ.

«وَغدٌ،» همسَتْ ماي الصَّغيرة. «ينتظرُ فقط أنْ يقضيَ علينا!»

«هيَّا الآن، على رسلكِ،» قالَ هومبر مع غصَّةٍ بسيطَةٍ في حلقهِ.

اقتربَ من بابٍ صغيرٍ منفرجٍ، وتشمَّم رائحةَ المكانِ بحذَرٍ.

أدَّى البابُ إلى ممرٍّ ضيِّقٍ يتعرَّجُ بغموضٍ، ويقودُ إلى مزيدٍ من الظَّلام.

«أفترضُ أنَّ مخزنَ المُؤنِ في مكانٍ ما في هذه الأقسامِ،» قالَ هومبر.

ولَجُوا في الممرِّ واكتشفُوا أنَّه مخطَّطٌ بأبوابٍ صغيرةٍ. تفحَّصتْ بنت الميمبل أقربَ لوحةِ بابٍ وقرأَتْ بصوتٍ عالٍ الحروفَ الباهتةَ. «م . م . ت . ل. ك . ا . ت. و.» وهتفَتْ «ممتلكاتو! يا له من اسمٍ بغيضٍ!»

ثبَّتَ هومبر نفسَه وقرعَ البابَ. انتظرُوا، وانتظرُوا، لكن بدا واضحًا أنَّ السَّيدَ ممتلكاتو ليسَ في الدَّاخلِ.

دفعت بنت الميمبل البابَ، وفتحَتْهُ.

ما سبقَ لهم قطُّ أنْ شاهدُوا ذلك الكمَّ الهائلَ من الأغراضِ دفعةً واحدةً وفي مكانٍ واحدٍ. كانت الحيطانُ عبارةً عن رفوفٍ ترتفعُ من الأرضيةِ إلى السَّقفِ. والرُّفوفُ تحوي كلَّ ما يمكن وضعُه عليهَا؛ أوعيةً كبيرةً عامرةً بالفاكهَةِ، ألعابًا، مصابيحَ طاولاتٍ وخزفيَّاتٍ، خُوَذًا منَ الصَّفيحِ وأزهارًا، طيورًا مُحنَّطةً، كتبًا وهواتفَ، مراوحَ ودِلاءً، كُراتٍ وأسلحةً، علبَ قبَّعاتٍ وساعاتِ زينةٍ وجداولَ أحرفٍ و...

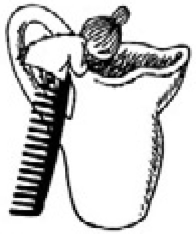

قفزَت ماي الصَّغيرةُ من على كتفِ أختِها، وطارتْ لتحطَّ على أحدِ الرُّفوف. حدَّقت في مرآةٍ وصَاحت: «انظرَا! حجمِي يتضاءلُ باستمرارٍ! ما عدتُ أستطيعُ أن أرَى نفسِي!»

«هذه ليستْ مرآةً حقيقيَّةً،» وضَّحتْ بنت الميمبل. «ما زلْتِ كما وُلدتِ ولا بأسَ عليكِ.»

فتَّش هومبر عن مربَّى البرتقالِ. «لعلَّ أيَّ مربَّى آخرَ يفي بالغرضِ،» غمغمَ وحاولَ أنْ ينزعَ غطاءَ أحدِ المربَّيات.

«هذا جصٌّ مصبوغٌ،» أعلنتْ بنت الميمبل. ثم تناولَتْ تفاحةً وقضمَتهَا. «إنَّها من الخشبِ،» قالَتْ.

ضحكَتْ ماي الصَّغيرة.

لكنَّ القلقَ نهشَ هومبر. كلُّ الأشياءِ من حوله كانت زائفةً. ألوانُها الزَّاهيةُ مجرَّدُ كذبةٍ، وأيُّ شيءٍ لمسَهُ تبيّن أنّه مصنوعٌ من الورقِ أو الخشبِ أو الجصِّ. التِّيجانُ الذَّهبيَّةُ ثقيلةٌ وقبيحَةٌ، والأزهارُ من الورقِ. آلاتُ العزفِ بلا أوتارٍ والعُلبُ بلا قعرٍ، والكتبُ لا يمكن بأيِّ حالٍ فتحُهَا.

والقلقُ ينهشُ قلبَهُ النَّزيهَ تفكّر هومبر في معنى ذلك كلِّه، بيد أنَّه لم يهتدِ لأيِّ تفسيرٍ. «ليتَني فقط كنت أذكى قليلًا،» فكَّر. «أو أكبرَ ببضعةِ أسابيعَ.»

«أحبُّ المكانَ هنا،» قالَتْ بنت الميمبل. «هذا كما لو أنَّ لا شيءَ في هذا المكان يهمُّ حقًّا.»

«أهناكَ أيُّ شيءٍ يهمُّ في أيِّ مكانٍ؟» سألتهَا ماي الصَّغيرة.

«لا،» أجابتْهَا أختُها بصوتٍ مبتهجٍ. «لا تطرحِي مثل هذه الأسئلةِ السَّخيفةِ.»

في تلك اللحظة صدرَ شخيرٌ عن شخصٍ ما؛ شخيرٌ عالٍ ومفعمٌ بالازدراء.

تبادلُوا النَّظراتِ برعبٍ.

«سأعودُ أدراجي،» غمغم هومبر. «هذه الأشياءُ تصيبُني بالحزنِ.»

سمعُوا خبطةً عاليةً من غرفةِ الجلوسِ، وتطايرت سحابَةُ غبارٍ خفيفةٌ من الرُّفوفِ. انتزعَ هومبر سيفًا وهرعَ إلى الممرِّ. وأمكنَهم سماعُ صرير ميزابيل.

كانت غرفةُ الجلوسِ غارقةً في ظلامٍ دامسٍ. وشيءٌ كبيرٌ وليِّنٌ ضربَ وجهَ هومبر. أغمضَ عينَيه ودفعَ سيفَه مباشرةً خلال ما تراءى له أنّه العدوّ الخفيِّ. سُمِعَ صوتُ تمزقٍ حادٍّ كما لو أنَّ العدوَّ مصنوعٌ من القماشِ، وعندما تجرَّأ هومبر على فتحِ عينيهِ ثانيةً رأى خلالَ الفتحةِ التي أحدثَها ضوءَ الشَّمسِ.

«ماذا تفعل؟» سألَتْ من خلفه بنت الميمبل.

«قضيتُ على ممتلكاتو،» ردَّ هومبر بصوتٍ مهزوزٍ.

ضحكَت بنت الميمبل وتسلَّقت عبر الفتحةِ نحو غرفةِ الجلوس. «وأنتمُ ما لديكم هُنا؟» سألتهُم.

«لا شيءَ سوى أنَّ أمِّي شدّت حبلًا،» صاح مومين ترول.

«وبعد ذلك سقطَ شيءٌ ضخمٌ جدًّا من السَّقفِ،» صاحَتْ ميزابيل.

«وفجأةً تحوَّلتِ الغرفةُ إلى قطعةٍ من الطَّبيعةٍ،» قالَتِ الآنسة سنورك. «في البداية ظنَنَّا أنَّها حقيقيَّةٌ. ثم رأيناكُم تظهرون من بين العشبِ.»

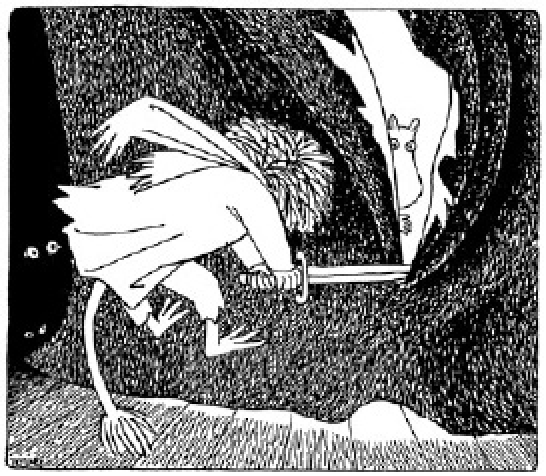

استدارتْ بنت الميمبل لتنظرَ.

رأتْ غابةً من أشجارِ البتولا قاتمةَ الخضرةِ إزاءَ بحيرةٍ في غاية الزُّرقةِ. ورأسُ هومبر يظهرُ من بين العشبِ وعلى وجههِ تعبيرُ ارتياحٍ.

«يا ربِّي،» هتفَتْ ماما مومين. «ظنَنتُ أنَّهُ يشبهُ حبلَ ستارةٍ. ثمَّ جاءَ كلُّ هذا يبحرُ نحونا. لحسنِ الحظِّ أنَّ أحدًا لم يُصبْ بأذًى. هل عثرَتْ على أيِّ مربَّى بُرتقالٍ؟»

«لا،» أجابَ هومبر.

«لا بأس، علينا أن نشربَ القليلَ من الشَّاي في جميع الأحوالِ،» قالت ماما مومين. « ويمكنُ أن نتأمَّلَ هذه الصُّورةَ في هذه الأثناء؛ إنَّها رائعةٌ. عسَاها تبقى حيثُ هي الآن.»

ثمَّ بادرَتْ إلَى صبِّ الشَّايِ.

وفي تلك اللحظةِ جلجلَتْ ضحكَةُ مخلوقٍ مجهولٍ.

كانت ضحكةً شريرةً، وبدتْ ملحفةً في القِدم، سمعوهَا مِنَ الزَّاويةِ المعتمَةِ خلفَ النَّخلةِ الورقيَّةِ.

«ما يضحكُكَ؟» انبرى بابا مومين يسألُ بعد صمتٍ طويلٍ.

طالتْ مدَّةُ الصَّمت فقط ولا جواب.

«ألن تشاركَنا كوبًا من الشَّاي؟» سألَتْ ماما مومين بصوتٍ حائرٍ.

بقيتِ الزَّاويةُ صامتةً.

«لا بدَّ من أنَّه شخصٌ عاشَ هنا قبلَنا،» قالَتْ. «لماذَا لا يخرجُ ويقدِّمُ نفسَهُ لنا؟»

لبثُوا ينتظرون وقتًا طويلًا، وعندما لم يحدثْ شيءٌ قالَت ماما مومين: «بدأ الشَّاي يبردُ يا أطفال،» ثم التفتَتْ توزِّع الجبنةَ بقطعٍ متساويةٍ على الجميع.

ثمَّ، وبينما هي تدهن الخبزَ المحمَّصَ بالزُّبدةِ بدأ سيلٌ مفاجئٌ من المطرِ يخبطُ السَّقفَ وينهمرُ عليهم.

وبالطَّريقةِ الفجائيَّةِ نفسِها هبَّت عاصفةٌ من مكانٍ ما وصفَّرت.

لمَّا نظرُوا إلى الخارجِ رأَوا الشَّمسَ تميلُ بسلامٍ نحو بحرِ الصَّيفِ المصقولِ كالمرآةِ.

«شيءٌ بغيضٌ هنا،» أشارَ هومبر وبدا منزعجًا نوعًا ما.

تصاعدَتْ قوَّةُ العاصفةِ. وبوضوحٍ سمعُوا صوتَ تكسُّرِ الأمواجِ على شاطئٍ بعيدٍ، والمطرُ ما انفكَّ يهطلُ على رؤوسِهم - أمَّا في الخارجِ فبدَا الجوُّ بديعًا كالسَّابقِ. بعد هنيهةٍ هدرَ الرَّعدُ. في البدايةِ هدرَ بقرقرَةٍ خافتَةٍ في المدَى. ثمَّ دنا، وومضَ برقٌ أبيضُ في غرفةِ الجلوسِ، ثم دوَّت جلجلةٌ تلوَ جلجلةٍ على رؤوسِ عائلةِ المومين الممتعضَةِ.

كانتِ الشَّمسُ في هذه الأثناءِ ما زالَتْ في طريقِها إلى الغروبِ، برويَّةٍ وبروعةٍ بالغةٍ.

بعدئذٍ أخذتِ الأرضيَّةُ تدورُ. دارت في بادئِ الأمرِ ببطءٍ، ثم ما لبثَتْ أنِ ازدادَتْ سرعةً أكثرَ فأكثرَ، إلى أن راحَ الشَّاي يهتزُّ جيئةً وذهابًا في الأكوابِ وسالَ منها. تصرَّفت غرفةُ الجلوسِ مثلَ ميدان دوَّامة الخيلِ، وعجزت عائلة المومين عن فعل شيء أكثر من التشبّث بمكانها، وكذلك فعلَت الطَّاولةُ والكراسي وخزانَةُ المرآةِ ودولابُ الكتَّانِ.

خلالَ فترةٍ وجيزةٍ توقَّفَ كلُّ شيءٍ فجأةً كما بدأَ. الرَّعدُ، البرقُ، المطرُ والرِّيحُ. اختَفَى كلُّ شيءٍ.

«يا له من عالَمٍ غريبٍ هذا العالَم،» هتفَتْ ماما مومين.

«ما حدثَ ليسَ حقيقيًّا،» صاح هومبر. «لا غيومَ هناك. والبرقُ ضرب ثلاثَ مراتٍ لكنَّ شيئًا لم ينكسرْ! والمطرُ والرِّيحُ و...»

«هناك شخصٌ ما انفكَّ يسخرُ منِّي طوال الوقتِ!» قالَتْ ميزابيل.

«انتهى كلُّ شيءٍ الآنَ،» أعلنَ مومين ترول.

«علينا أنْ نلتزمَ جانبَ الحذرِ،» قالَ بابا مومين. «هذا بيتٌ خطرٌ ومسكونٌ، ويمكنُ أنْ يحدثَ أيُّ شيءٍ.» ثمَّ تلفَّتَ ينظرُ حواليه بعينين مُتقدتين.

«شكرًا على الشَّاي،» قال هومبر. ومشى إلى حافةِ غرفةِ الجلوس وحدَّق في الغسقِ.

«إنَّهم لا يشبهونَني مطلقًا،» فكَّر. «لديهم مشاعرُ ويرون الألوانَ، ويسمعون الأصواتَ ويدورونَ، لكن ما يشعرون به وما يسمعونَه وما يرونَه، ولماذا يدورون، لا يُقلقهم مطلقًا.»

اختفَتْ حافَّةُ قرصِ الشَّمس العليا في الماء. وفي اللحظةِ نفسِها شعَّ ضوءٌ بديعٌ في غرفةِ الجلوسِ.

بدهشةٍ حوَّلت عائلة المومين أنظارَها من أكوابِ الشَّاي إلى الأعلَى. ورأَتْ قوسًا من مصابيحَ مشعشعةٍ حمراءَ وزرقاءَ يمتدُّ فوقَهم مؤطّرًا بحر المساءِ مثلَ إكليلٍ من النُّجوم، جميلٍ وحميمٍ. وعلى طول الأرضيَّةِ تحتهم توهَّجَ صفٌّ مماثلٌ من المصابيحِ.

«ذاك للحؤولِ دونَ أنْ يسقطَ النَّاسُ في الماء،» استنتجت ماما مومين. «يا للحياةِ كم يمكنُ أن تكون مُنظَّمةً. بيد أنَّ هذه الأحداثَ المثيرةَ والرَّائعةَ أتعبتني قليلًا. أعتقد أنَّني سأسترخي الآن.»

قبل أنْ تغطِّي ماما مومين أنفَها بلحافِها تذكَّرت أنْ تقولَ: «مع ذلك، أيقظُونِي رجاءً إذا طرأ شيءٌ جديدٌ!»

❀ ❀ ❀

في فترةٍ لاحقةٍ من المساءِ ذهبت ميزابيل في جولة انفراديَّةٍ قربَ البحرِ. رأتِ القمَر يبزغُ ويباشرُ رحلتَهُ الموحشةَ عبر الليلِ.

«إنَّه مثلي تمامًا،» فكَّرت ميزابيل بحزنٍ. «سمينٌ ووحيدٌ.»

جعلَتها هذه الفكرةُ تشعرُ أنَّها منبوذةٌ جدًّا وضعيفةٌ واضطرَّت إلى البكاءِ قليلًا.

«ما يبكيكِ؟» سألَها هومبر من مكانٍ قريبٍ.

«لا أدري، لكنَّ هذا يولِّدُ عندي شعورًا لطيفًا،» ردَّت ميزابيل.

«ألا يبكي النَّاسُ إذَا اعتراهمُ الحزنُ؟» اعترضَ هومبر.

«طيب، نعم. القمر...» أجابت ميزابيل بشكلٍ مبهمٍ وتمخَّطت. «كلُّ ذلك الحزن والقمر والليل و...»

«أوه، فهمْتُ،» غمغمَ هومبر.

4

عن الخُيَلاء وأخطارِ النَّومِ على الأشجارِ

مرَّت بضعةُ أيَّامٍ.

كانت عائلة المومين قد بدأت تألَفُ بيتَها العجيبَ. في المساء، عند المغيبِ تمامًا، تسطعُ أضواءُ المصابيح من تلقاءِ نفسِها. واكتشفَ بابا مومين أنَّ السَّتائرَ المخمليَّةَ الحمراءَ يمكنُ إسدالُهَا لدرءِ المطرِ، وأنَّ هناك مخزنَ مؤنٍ تحتَ الأرضيَّةِ. مخزنٌ باردٌ جدًّا لأنَّ الماءَ يحيطُ به من ثلاثةِ جوانبَ وله سقفٌ صغيرٌ مستديرٌ. إلَّا أنَّ احتواءَ سقفِ غرفة الجلوس على الصُّور الجداريَّة كان الاكتشافَ الأروعَ. صورٌ أجملُ بكثير من تلك التي تظهرُ فيها أشجار البتولا. ويمكنُ إنزالُ تلك الصُّور ورفعُها ثانيةً، كما يشاءُ المرءُ. ومن ضمن تلك الصُّور صورةُ شرفةٍ بسورٍ مُزخرَفٍ، وهذه أصبحتِ المفضلةُ لدى عائلةِ المومين لأنَّها ذكَّرتْهم بِواديهم.

ولولا الضِّحكةُ الغريبَةُ التي كانت أحيانًا تباغتُهم وهم يدردشونَ لشعرُوا بسعادةٍ غامرةٍ. في أحيانٍ أخرى تقتصرُ تلك الضِّحكةُ على نخرةِ ازدراءٍ.

أحدُهم ما انفكَّ يُسمعهم نخيرَهُ لكنَّه ما أظهرَ نفسَه قطُّ. فدرجت ماما مومين على تخصيصِ وعاءِ طعامٍ من مائدة العشاءِ، ووضعِه أمامَ النَّخلةِ الورقيَّةِ في الزَّاويةِ المعتمةِ، وفي اليوم التَّالي تجدُ أنَّ الوعاءَ قد أُفرِغ من الطَّعامِ بحرصٍ.

«مؤكَّدٌ أنَّه شخصٌ خجولٌ جدًّا،» كانت تقول.

«أو لعلَّه شخصٌ يترصَّدُ بنا!؟» كانت بنت الميمبل تُضيفُ.

❁ ❁ ❁

في صباحِ أحدِ الأيَّامِ انهمكَتْ بنت الميمبل والآنسةُ سنورك وميزابيل في تمشيطِ شعرهنَّ.

«يجدرُ بميزابيل أنْ تغيِّرَ تسريحتها،» أشارت بنت الميمبل. «فرقُ شعرِها من المنتصفِ لا يناسبُها.»

«لكن ليست لديها غرَّةٌ،» قالت الآنسة سنورك وهي تنفشُ وبرَها النَّاعمَ بين أذنيها. ثم مشَّطت خصل ذيلها برويَّةٍ وأدارتْ رأسَها لترى إذا كان الزَّغب مهندمًا أسفلَ ظهرِهَا.

«أمِنَ المستحبِّ أن يكونَ زغبُكِ منفوشًا في جميع أنحاءِ جسمكِ؟» سألَتْها بنت الميمبل.

«جدًّا،» أجابتِ الآنسة سنورك برضًا. «وأنتِ يا ميزابيل هل لديك وبرٌ منفوشٌ؟»

لم تردَّ ميزابيل.

«يجدر بميزابيل أن تنفشَ وبرَها،» قالت بنت الميمبل وهي تعقدُ شعرَها.

«أو تجعِّده،» أضافَتِ الآنسة سنورك.

فجأةً، خبطت ميزابيل الأرضيَّة بقدمِها. «أنتما ووبَركُما التَّافهُ،» صاحت وانفجرَتْ بالبكاءِ. «أنتما تعرفان كلَّ شيءٍ، أليس كذلك! بل حتَّى الآنسة سنورك لا تلبس فستانًا! أنا لا يمكن أبدًا أبدًا أن أظهرَ إن لم يكن ثوبي مهندمًا! وأفضِّلُ أن أموتَ في الحال على أن أظهرَ بلا ثيابٍ!»

اندفعت ميزابيل تعبرُ غرفةَ الجلوسِ إلى الممرِّ. تلمَّست طريقَها في الظَّلام وهي تنشجُ، ثم تسمَّرت في أرضِها وشعرَتْ بخوفٍ شديدٍ، فقد تذكَّرتِ الضِّحكةَ الغريبَةَ.

كفكفت ميزابيل دموعهاِ، وراحت تتحسَّسُ برعبٍ طريقَ العودَةِ. تحسَّست وتلمَّست بحثًا عن غرفةِ الجلوسِ، وكلَّما طال بحثُها تفاقمَ خوفُها. أخيرًا عثرتْ على بابٍ وفتحَتْهُ.

لم يكنِ البابُ يؤدي إلى غرفةِ الجلوسِ، بل إلى غرفةٍ مختلفةٍ كلَّ الاختلافِ. إلى غرفةٍ خافتةِ الضَّوءِ فيها صفٌّ طويلٌ من الرُّؤوس. رؤوسٌ فقط، تقومُ على أعناقٍ طويلةٍ وضيِّقةٍ، رؤوسٌ مستديرةٌ تستقبلُ الحائطَ ومتوَّجةٌ

بمختلفِ أنواعِ الشَّعر. «لو وجَّهَتْ أنظارَها إليَّ،» فكَّرت ميزابيل بارتباكٍ. «تخيَّلُوا فقط ما قد يحدثُ لو أنَّها نظرَتْ إليَّ...»

في البدايةِ اعترَاهَا فزعٌ رهيبٌ بحيثُ لم تجرؤْ على التَّقدُّمِ خطوةً. وقفَتْ تحدِّقُ فحسب، مسحورةً بخصلاتِ الشَّعرِ الذَّهبيِّ المجعَّدة، بالخصلاتِ السَّوداءِ المجعَّدةِ، بالخصلاتِ الحمراءِ المجعَّدةِ...

❀ ❀ ❀

في هذه الأثناء انتابَ الآنسة سنورك شعورٌ بشيءٍ من النَّدم في غرفة الجلوسِ.

«لا تبالي بميزابيل،» قالت بنت الميمبل. أيُّ شيءٍ يجعلُها تفقدُ صوابَها.»

«لكنَّها مُحقَّةٌ،» غمغمتِ الآنسة سنورك وهي تلقي نظرةً على بطنِها. «يجب أن ألبسَ فستانًا.»

«طبعًا لا،» قالت بنت الميمبل. «لا تكوني سخيفةً.»

«لكن أنتِ تلبسينَ واحدًا،» اعترضَتِ الآنسة سنورك.

«حسنًا، هذه أنا،» أجابت بنت الميمبل بلا مبالاةٍ. «يا هومبر، أيجبُ أن تلبسَ الآنسة سنورك ثوبًا؟»

«إذا شعرَتْ بالبرد،» ردَّ هومبر.

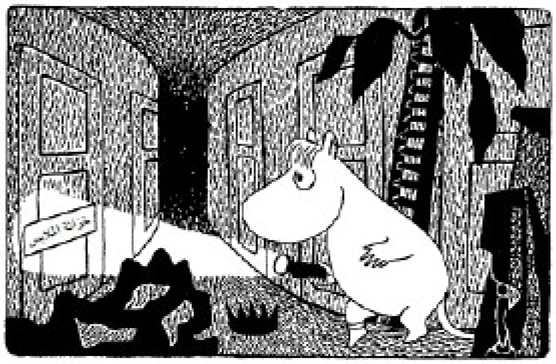

«لا، لا، المقصود في الأحوالِ جميعِها،» فسَّرتِ الآنسة سنورك.

«أو إذا نزلَ المطر،» تابع هومبر. «وفي تلك الحالة من المنطقِ ارتداءُ معطفٍ مطريٍّ.»

هزَّتِ الآنسة سنورك رأسَها. تردَّدت هُنيهة ثم قالت: «سأذهب وأسوِّي هذه القضيَّةَ مع ميزابيل.» ثم بحثَتْ عن مصباحٍ كاشفٍ ويمَّمتِ الممرَّ. كان خاليًا.

«ميزابيل؟» نادتِ الآنسة سنورك بصوتٍ خافتٍ. «في الحقيقة أحبُّ فرق شعركِ منَ المنتصفِ...»

لكن ولا أيّ ميزابيل أجابَتهَا. فجأةً وقعتْ عينَا الآنسة سنورك على بصيصِ ضوءٍ منبعثٍ من أحدِ الأبوابِ، فاتجَهتْ إليهِ لتنظُرَ منَ الشَّقِ.

رأت ميزابيل تجلسُ وحدَها وراءَ البابِ، وعلى رأسِها شعرٌ مختلفٌ؛ طويلٌ، ذهبيٌّ بضفائرَ لولبيَّةٍ تؤطِّرُ وجهها القَلِق.

تأمَّلت ميزابيل الصَّغيرة انعكاسَ صورتِها في الزُّجاج وتنهَّدت. تناولت شعرًا مستعارًا آخرَ، أحمرَ وجامحًا، وتركت غرَّتَه تتهدَّل فوق عينيها.

هذا لم يحسِّنِ الأمور. أخيرًا، بيدين مرتجفتين استولَتْ على مجموعةٍ من الضَّفائرِ سبقَ أن وضعتها جانبًا لأنَّها أحبَّتها أكثر من غيرها. كانَ سوادُهَا الفاحمُ بديعًا وتتخلَّلهُ خطوطٌ ذهبيَّةٌ متلألئةٌ كالدُّموع. بأنفاسٍ متقطِّعةٍ وضعت ميزابيل الشَّعر المستعارَ فوقَ شعرِها. ولدقيقةٍ كاملةٍ تأمَّلت نفسها في المرآة. ثمَّ نزعَتِ الشَّعر ببطءٍ بالغٍ وجلست ساهمَةً تحدِّقُ في الأرضيَّةِ.

تسلَّلتِ الآنسةُ سنورك بعيدًا من غير أن تزعجَها. أدركت أنَّ ميزابيل ترغبُ في البقاءِ وحدَها.

لكنَّ الآنسةَ سنورك لم تعُد إلى الآخرين. بل مشَتْ أبعدَ قليلًا في الممرِّ وهي تتشمَّمُ الهواء. داعبَت أنفها رائحةٌ مُغريةٌ ومثيرةٌ جدًّا، رائحةُ بودرةِ تجميلِ الوجوهِ. البقعةُ المضيئةُ الصَّغيرةُ من مصباحِها الكاشفِ تجوَّلت على الحيطان وفي النِّهاية استقرَّت على الكلمةِ السِّحريَّةِ «ملابس» على أحدِ الأبواب.

«فساتين!» همستِ الآنسة سنورك لنفسِها. «فساتين!» أدارَتْ مقبضَ البابِ ودخلَتْ. «ياه! يا للروعَةِ،» لهثَتْ. «أوه، يا لجمالِهَا!»

عباءاتٌ، ألبسةٌ، فساتينُ. كلُّها معلَّقةٌ بصفوفٍ لا نهائيَّةٍ حول الغرفةِ - قماشٌ مطرَّزٌ، مجموعاتٌ منفوشةٌ من النَّسيجِ الحريريِّ وقطنياتٌ ناعمةٌ وحريرٌ مطبَّعٌ بالزُّهورِ، مُخملٌ بسوادِ الليلِ موشًّى بحبيباتِ زينةٍ برَّاقةٍ كأنَّها مشاعلُ صغيرةٌ وامضةٌ مختلفةُ الألوانِ. اقتربَتِ الآنسة سنورك مأخوذَةً. تحسَّستِ الثِّيابَ. استولَتْ على حملِ ذراعٍ منهَا وضغطَتها على أنفِها، على قلبِها. الفساتينُ حفَّت وتمايلت، فاحت منها رائحةُ غبارٍ وعطرٍ قديمٍ غمرتها بنعومةٍ فاخرةٍ. فجأةً أفلتتِ الآنسةُ سنورك حملها كلَّه، ووقفت على رأسها عدَّةَ دقائقَ.

«لأهدِّئَ نفسي،» همسَت. «يجب أن أهدأَ قليلًا. وإلَّا أنفجرُ من فرط السَّعادةِ. يوجدُ هنا الكثيرُ منها...»

✽ ✽ ✽

قبل موعدِ العشاءِ بقليلٍ عادت ميزابيل إلى غرفة الجلوس، وقبعت تتحسَّرُ وحدَها في إحدَى الزَّوايا.

«مرحبًا،» حيَّتها الآنسةُ سنورك وجلسَتْ إلى جانِبها. عاينَتْهَا ميزابيل بنظرةٍ مبهمةٍ ولم تقلْ شيئًا.

«كنتُ أبحثُ عن فستانٍ،» قالَتِ الآنسةُ سنورك. «وعثرتُ على بضعِ مئاتٍ منهَا وسررتُ كثيرًا.»

ندَّ عن ميزابيل صوتٌ يمكنُ أن يعنيَ أيَّ شيءٍ.

«ربَّما ألف!» أردفتِ الآنسة سنورك. «تفرَّجتُ وتفرَّجتُ وجرَّبت واحدًا تلو الآخرِ وشعرْتُ بالحزن أكثرَ فأكثرَ.»

«حقًّا!» هتفَتْ ميزابيل.

«نعم، ماذا تظنِّينَ،» ردَّتِ الآنسةُ سنورك. «كان عددُها كبيرًا جدًّا جدًّا، أترين. ما كان في وسعي أن أحصلَ عليها كلّها أو حتَّى أختارَ أجملها. بل هي تقريبًا أصابتني بالخوف! ما تمنَّيتُ إلَّا ألَّا يكونَ هناك سوى اثنين منها!»

«ذاك طبعًا أسهلُ بكثيرٍ،» أجابت ميزابيل بنبرةٍ مرحةٍ نوعًا ما.

«وهكذا في النِّهاية هربْتُ منها كلّها،» اختتمَتِ الآنسة سنورك حديثَها.

جلستَا صامتتين لفترةٍ وراقبَتا ماما مومين تعدُّ المائدةَ.

«فكِّري فقط،» قالتِ الآنسة سنورك، «فكِّري فقط في نوع العائلة التي عاشَتْ هنا قبلنا! ألف فستان! أرضيَّة تدور أحيانًا، صور تتدلَّى من السَّقف، جميع أغراضهم على الرُّفوف في غرفة السَّيدِ ممتلكاتو. أبوابٌ ورقيَّةٌ ومطرٌ استثنائيٌّ. كيف يمكن أن تكونَ أشكالهم؟»

تذكَّرت ميزابيل الضَّفائرَ الجميلة وتنهَّدت.

لكن وراء ميزابيل والآنسة سنورك، وراءَ القمامةِ المغبَّرةِ عند النَّخلةِ الورقيَّةِ، لمع زوجان من عيونٍ صغيرةٍ حذرةٍ وحادَّةٍ. راقبَتهما العينان بشيءٍ من الازدراء، ثم تفحَّصتا غرفةَ الجلوس لتستقرَّا أخيرًا على ماما مومين التي كانت في تلك اللحظة تجلبُ وعاءً كبيرًا من العصيدة. ازدادَ اسودادُ العينين أكثرَ من السَّابق، والأنف الذي بينهما تغضَّن مطلِقًا نخرة خافتة.

«ليتفضَّلِ الجميعُ إلى العشاء!» هتفَتْ ماما مومين. ثمَّ سكبَتْ عصيدةً في صحنٍ ووضعته على الأرضيَّة قربَ النَّخلةِ.

أقبلتْ عائلة المومين جريًا وجلسَ الجميع إلى الطَّاولة، «ماما،» بدأ مومين ترول ومدَّ يدَه إلى السُّكَّر، «ألَا تظنِّين...» ثمَّ صمت فجأةً وأسقط وعاء السُّكَّر على الطَّاولة بخبطةٍ. «انظرُوا!» همسَ. «انظرُوا!»

استدارُوا ونظرُوا.

ظهرَ ظلٌّ من الزَّاويةِ المظلمةِ يجرجر رجليهِ، رماديٌّ ومُتغضنٌ. طرفَ عينيه من وهجِ الشَّمس، هزَّ شاربيه ورمقَ المجموعةَ بنظرةٍ عدائيَّةٍ.

«أنا إيما،» قالت فأرةُ خشبةِ المسرح المُتمرِّسة بصوتٍ صارمٍ، «وأودُّ إعلامَكِ أنَّني أكرهُ العصيدة. هذا ثالثُ يوم تأكلون فيه العصيدة.»

«سيكون لدينا غدًا ثريد،» أجابت ماما مومين بحياءٍ.

«أنا أمقت الثَّريد،» ردَّت إيما.

«ألَا تتخذُ إيما لنفسها كرسيًّا رجاءً،» انبرى بابا مومين يقول. «ظننَّا أنَّ هذَا البيتَ مهجورٌ، ولذلك...»

«بيت! هه، حقًّا،» قاطعَتْهُ إيما وهي تنخرُ. «هذا ليس بيتًا!» هتفَتْ وعرجَتْ نحو الطَّاولة لكنَّها لم تجلسْ.

«أهي غاضبةٌ منِّي؟» همست ميزابيل.

«ماذا فعلتِ؟» سألتها بنت الميمبل. .

«لا شيء،» غمغمت ميزابيل بينها وبين صحنِها. «أشعرُ فقط كما لو أنَّني فعلتُ شيئًا ما. أشعرُ دائمًا كما لو أنَّني أغضبتُ شخصًا ما. لو كنت أروع ميزابيل في العالم لاختلفَ كلُّ شيءٍ...»

«حسنًا، لكنَّكِ لست كذلك،» ردَّت بنت الميمبل واستمرَّتْ في تناولِ وجبتِها.

«هل نجتْ عائلة إيما؟» استفسرَت ماما مومين بنبرةٍ متعاطفةٍ.

لم تجبْ إيما. كانت تحملقُ في الجبنة... مدَّت يدها لتأخذَها وتضعَها في جيبِ ثوبها. ثم تحرّت عيناها الطَّاولة واستقرَّتا بثباتٍ على قطعةِ فطيرةٍ صغيرةٍ.

«تلك لنا!» صاحَتْ ماي الصَّغيرة، وقفزت طائرةً لتحطَّ على الفطيرةِ.

«هذا ليس تصرُّفًا لائقًا،» وبَّخت بنت الميمبل أختَها ونحَّتهَا بعيدًا. نظَّفتِ الفطيرة من بعضِ الغبارِ، ثمَّ خبأتهَا تحت مفرشِ المائدةِ.

«عزيزي هومبر،» سارعت ماما مومين إلى القولِ. «اركضْ وانظرْ إذا كان لدينا شيءٌ مناسبٌ لإيما في مخزنِ المؤنِ!»

اندفع هومبر بعجالَةٍ.

«مخزنٌ!» صاحتَ إيما. «صحيحٌ! هه، مخزنٌ حقًّا! يبدو أنَّكم تعتقدون أنَّ صندوقَ المُلقِّنِ مخزنُ مؤنٍ! وخشبةَ المسرحِ غرفةُ جلوسٍ مع صورٍ متدلِّيةٍ! والسَّتائرَ مجردُ ستائرَ وممتلكاتو شخصٌ!» اصطبغَ وجههَا بحمرةٍ قانيةٍ، وتجعَّد خطمُهَا حتَّى بلغَ جبينَها. «حقًّا، الحمدُ للهِ،» صاحَتْ، «الحمدُ للهِ لأنَّ زوجيَ الحبيبَ، مديرَ المسرحِ، السَّيدَ فيليجونك، رحمَه اللّٰهُ، لا يستطيعُ أن يراكَم! أنتم لا تعرفون أيَّ شيءٍ عنِ المسرحِ، هذا واضحٌ، بل أوضحُ من اللاشيءِ، ولا حتَّى ظِلَّ أيِّ شيء!»

«هناك سمكةُ رنغةٍ، لكنَّها نوعًا ما قديمةً،» أعلن هومبر وهو يعودُ.

بعنفٍ انتزعَتْ إيما السَّمكةَ وترنَّحت عائدةً إلى زاويتِها. لفترةٍ طويلةٍ استمرَّتْ تقعقع خلالَ عددٍ منَ الأشياء، وأخيرًا سحبَتْ مكنسةً كبيرةً، وبدأَتْ تكنسُ الأرضيَّةَ.

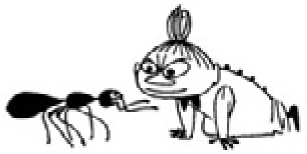

«ما هو المسرحُ؟» همسَتْ ماما مومين بارتباكٍ.

«لا أعرفُ،» أجابَ بابا مومين. يبدو أنَّ المرءَ يجبُ أنْ يكونَ على درايَةٍ بهِ.»

✽ ✽ ✽

في المساءِ تسلَّلت رائحةٌ نفَّاذةٌ من زهورِ شجرةِ الغبيراءِ نحوَ غرفةِ الجلوسِ. وأقبلَتِ الطُّيور ترفرفُ بغية اصطياد العناكب الرّابضة في السّقف. وصادفَت ماي الصَّغيرة نملةً كبيرةً وخطرةً على البساط. وهكذا اكتشفُوا أنَّهم حطُّوا في غابةٍ من غير أنْ يلاحظَ أحدٌ منهم.

غمرتهُم حماسةٌ عظيمةٌ. وتناسَوا خوفَهم من إيما بينما تجمَّعوا يدردشون ويشيرون بأيديهم قربَ الماء. ربطَ بابا مومين الحبل الثَّخين بعصَا المشي ودفعَ العصَا خلال فتحةِ مخزنِ المؤنِ.

«لا تخرِّب صندوقَ المُلَقِّن!» زجرَته إيما. «أهذَا مسرحٌ أم رصيفُ ميناءٍ؟»

«أفترضُ أنَّه مسرحٌ ما دامت إيما تقولُ ذلك،» ردَّ بابا مومين بتواضعٍ. «لكنَّ أحدًا منَّا لا يعرفُ تمامًا ما يعني هذا.»

حدَّقت فيه إيما من غير أن تجيبَ. هزَّت رأسَها، هزَّت كتفيها، أطلقَتْ نخرةً قويَّةً واستمرَّت تكنسُ الأرضيَّةَ.

وقفَ بابا مومين ينظرُ إلى رأسِ الشَّجرة الضَّخمة. كانت حشود النَّحلِ الطَّنان تهممُ حولَ الأزهارِ البيضاءِ. جذعُ الشَّجرةِ متقوِّسٌ بطريقةٍ رائعةٍ، مشكِّلًا شيئًا يشبهُ مِذراةً مستديرةً، وبدَتْ مناسبَةً تمامًا للنَّومِ في حالِ كانَ حجمُ المرءِ صغيرًا بما يكفي.

«أنا سأنامُ على هذه الشَّجرةِ اللَّيلة،» صرَّح مومين ترول بلا سابقِ إنذارٍ.

«وأنا، أيضًا،» قالتِ الآنسة سنورك فورًا.

«وأنا!» صاحتْ ماي الصَّغيرة.

«نحن ننامُ في البيت،» تصدَّت لها بنت الميمبل. «قد يكون هناك نملٌ في الشَّجرة، وإذا لدغكِ ستنتفخينَ ويصبحُ حجمك أكبرَ من برتقالةٍ.»

«لكن أنا أريد أن يزدادَ حجمي! أريدُ أن يزدادَ حجمي! أريد أن يزدادَ حجمي!» بكت ماي الصَّغيرة.

«يجدرُ بكِ أن تُحسنِي التَّصرُّفَ الآن،» قالت أختُها. «وإلَّا تأخذكِ الغروك.»

كان مومين ترول يديم النَّظر إلى سقفِ الأوراق الخضراء. بدا يشبهُ قليلًا البيتَ في وادي المومين. فبدأ يصفِّرُ لنفسهِ، وهو يفكِّرُ بمخطَّطِ سلَّمِ الحبالِ الذي ينوي صنعَه.

جاءَتْ إيما تجري نحوه بسرعةٍ. «أوقفِ الصَّفير حالًا!» زعقَت.

«لماذا؟» سألَها مومين ترول.

«الصَّفيرُ في المسرح كارثةٌ،» ردَّت إيما بصوتٍ خافتٍ. «وليست حتَّى من الكوارثِ التي تعهدُها.» ثم نأتْ بعيدًا عنه نحو الظِّلال وهي تغمغم وتهزُّ مكنستَها. تابعَتْها عائلة المومين بنظراتٍ قلقةٍ. ثم سرعان ما نسَوا كلَّ شيءٍ.

✽ ✽ ✽

عندما حان وقت النَّومِ انهمَك مومين ترول يرفعُ أغطية الفراش إلى الشَّجرةِ. وشُغِلت ماما مومين بحزمِ سلَّةِ فطورٍ صغيرةٍ من أجلِ مومين ترول والآنسة سنورك. إذ رأت أنَّه من اللطيفِ أنْ يتناولا الفطورَ حيثُ هما عندما يستيقظان في الصَّباح التَّالي.

راقبت ميزابيل ما يجري.

«رائعٌ أنْ يتسنَّى للمرء النَّومُ في شجرةٍ،» قالت.

«لماذا لا تفعلين ما دمتِ ترين أنَّك تتوقين إلى ذلك؟» سألتهَا ماما مومين.

«لا أحد دعاني،» أجابت ميزابيل بوجهٍ متجهِّم.

«آه يا ربِّي، خذي وسادتكِ وتسلَّقي لتنضمِّي إلى الآخرين يا صغيرتي ميزابيل،» قالَتْ ماما مومين.

5

عن عاقبةِ الصَّفيرِ على خشبةِ المسرحِ

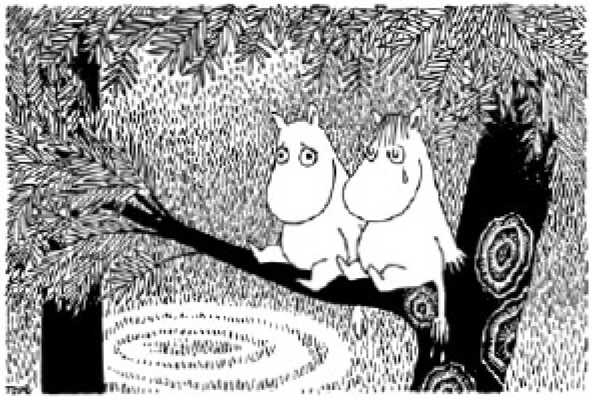

استيقظتِ الآنسة سنورك وهي ترتعشُ من البردِ، وغُرّتُها رطبةٌ تمامًا. كانت هناك غلالات سميكةٌ من الضَّباب تنجرفُ بين الأشجار وتحجبُها بجدرانٍ رماديَّةٍ شاحبةٍ. بدتِ الجذوع مخضَّلةً بالماء وبسوادِ الفحم، لكنَّ الطَّحالبَ والأُشْنة النَّامية عليها أصبحت خفيفةً وشكَّلَت أنماطَ ورودٍ هشَّةٍ في كلِّ مكان. دفنتِ الآنسة سنورك رأسَها في الوسادة، وحاولت متابعةَ حلمِها الجميل. حلمَتْ أنَّ خطمَها صغيرٌ جدًّا ورائعٌ، إلَّا أنَّها عجزت عن متابعَةِ ذلك الحلمِ.

فجأةً شعرَتْ أنَّ هناك شيئًا غير صائبٍ.

برعبٍ نظرَتْ من حولِها.

أشجارٌ وضبابٌ وماءٌ، لكنْ لا دارَ هناك. اختفَتِ الدَّارُ، وكانت هي ومومين ترول وحدَهما. للحظة بُهتَتِ الآنسة سنورك.

ثمَّ مالت وهزَّت مومين ترول بلطفٍ.

«احمِني،» همسَتْ، «احمِني يا عزيزي!»

«أهذا نوعٌ من لعبةٍ جديدةٍ؟» استفسرَ مومين ترول بصوتٍ ناعسٍ.

«لا، هذا حقيقيٌّ،» أجابتِ الآنسة سنورك ونظرت إليه. عيناها سوداوان من الفزعِ.

سمعا وقعَ الضَّباب حواليهما وهو يتقطَّرُ قطرةً فقطرةً في الماء القاتمِ بطريقةٍ موحشةٍ. كانت تويجاتُ الأزهارِ كلِّها قد سقطت خلال الليلِ. وكان الصَّباح باردًا.

جلسا جنبًا إلى جنبٍ وقتًا طويلًا من غيرِ أنْ يأتيا بحركةٍ. بكتِ الآنسة سنورك بصمتٍ في حنايا وسادتِها.

أخيرًا نهضَ مومين ترول، وبطريقةٍ آليَّةٍ أنزل سلَّة الفطورِ من غصنِ الشَّجرةِ.

كانت عامرةً بشطائرَ صغيرةٍ مرتَّبةٍ وملفوفةٍ بمناديلَ ورقيَّةٍ. شطيرتان من كلِّ نوعٍ. وضعَها أمامه بصفوفٍ لكنَّه لم يشعر بالجوعِ مطلقًا.

فجأةً لاحظ مومين ترول أنَّ أمَّه كتبت شيئًا على كلِّ رزمة. تعليقٌ ما، مثل «جبنة» أو «زبدة فقط» أو «السُّجق اللذيذ» أو «صباح الخير!» على الرُّزمة

الأخيرة كتبت «هذا من بابا». واحتوت تلك الرُّزمة على صفيحة الكركند التي احتفظَ بها بابا مومين منذ الرَّبيع.

وبلا سابقِ إنذار انتاب مومين ترول شعور بأنَّ الحالة التي هما فيها ليست على تلك الدَّرجةِ من الخطورةِ.

«هيَّا لا تبكي يا صديقتي، وحاولي أنْ تأكلي شطائرَك،» قال. «سنتسلَّق ونتحرَّى الغابة، ورجاءً مشِّطي غرَّتك قليلًا، لأنَّني أحبُّ أن أراكِ جميلةً!»

✽ ✽ ✽

صرف مومين ترول والآنسةُ سنورك اليوم بأكمله وهما يتسلَّقان من شجرةٍ إلى أخرى. وعندما لمحَا أوَّلَ بريقٍ من الطَّحالب يلمع بلونه الأخضرِ خلال الماء ويتصاعدُ شيئًا فشيئًا خارجَه ليشكِّلَ أرضًا صلبةً كان المساء قد حلَّ.

أوه، كم هو رائعٌ أن يدوسَ المرءُ على أرضٍ ثابتةٍ مرَّةً أخرى ويمرِّغ كفَّيه بالطَّحالبِ النَّاعمةِ المأمونة! كانتِ الغابةُ صنوبريَّةً. ومن حولهما وقوقَت طيور الوقواق، ورقصَت أسرابُ البراغيثِ في المساءِ الصَّامتِ السَّاكنِ، كانت أسرابُ البراغيثِ ترقصُ تحتَ أشجار التَّنوبِ المتراصَّةِ. (لحسن الحظِّ لا تستطيعُ البراغيث عقصَ فراءِ المومين.) تمدَّد مومين ترول على العشب. فقد شعرَ بالدُّوار من النَّظر في الماءِ المدوَّم المضطربِ مدَّةً طويلةً جدًّا.

«أتخيَّلُ الآن أنَّكَ اختطَفتني،» همستِ الآنسةُ سنورك.

«هذا ما فعلتُه،» أجاب مومين ترول بلطفٍ. «صرخْتِ بشدَّةٍ، ومع ذلك نجحْتُ في اختطافك.»

غربتِ الشَّمسُ، لكن في شهر حزيران لا يخيّمُ الظّلامُ الدامسُ في الليل طبعًا. كانتِ الليلةُ شاحبةً وحالمةً وعامرةً بالسّحر.

بعيدًا في أعماق أشجار التَّنوب لمعت شرارةٌ ونُفخَتِ الرُّوحُ في نارٍ متواضعةٍ. كانت نارَ مخيَّمٍ منمنمةٍ من إبر الصَّنوبرِ وأغصانِه، وشاهدا بوضوحٍ الكثيرَ من مخلوقاتِ الغابة الصغيرةِ جدًّا تحاولُ دحرجةَ كوزِ صنوبرٍ بأكملهِ نحو النَّار.

«لقد أشعلُوا نارَ مُنتصف الصَّيف،» هتفتِ الآنسة سنورك.

«صحيح،» همهم مومين ترول وهو يتنهَّدُ. «نسينا أنَّنا في أمسيةِ منتصفِ الصَّيف.»

ألمَّت بهما موجةُ حنينٍ إلى البيت. نهضَا من العشبِ ومضيا يتعمَّقانِ في الغابةِ.

في مثل هذا الوقت من السَّنة يكون نبيذُ التَّخيل الذي يصنعه بابا مومين قد تخمَّرَ هناك في البيتِ في وادي المومين. وعندَ الشَّاطئ تُوقد شعلةُ منتصفِ الصَّيف العظيمةِ، وجميعُ مخلوقات الوادي والغاباتِ يتجمَّعون حولَها ليبدُوا إعجابَهم بها. نيرانٌ أخرى تُوقَدُ على طول الشَّاطئ وبعيدًا في الجزر، لكن شعلةَ وادي المومين لطالما كانت الأروعَ. وعندما يرتفع اللهبُ إلى أعلى مستوى، درجَ مومين ترول على خوضِ الماء الدَّافئ حيث يعومُ مستلقيًا على سطح الماء ويتأملُ النَّار.

«كانت صورتُها تنعكسُ في البحرِ،» قال مومين ترول.

«صحيحٌ،» ردَّتِ الآنسةُ سنورك. «وعندما تخمدُ نذهبُ ونقطفُ تسعةَ أنواعٍ من الزُّهور ونضعها تحت وسائدنا وحينئذٍ تتحقَّقُ أحلامنا. لكن ليس مسموحًا للمرء أنْ ينطقَ بكلمةٍ وهو يقطفُ الأزهارَ، ولا بعد ذلك، ليسَ قبل أن يطلعَ الصَّباح.»

«وهل تحقَّقت أحلامُكِ؟» سألَها مومين ترول.

«طبعًا، وهي دائمًا أشياءُ لطيفةٌ،» أجابتِ الآنسةُ سنورك.

وصلا إلى فسحةٍ في الغابةِ، يجللها سديمٌ رقيقٌ مثل حليبٍ في قدرٍ.

توقَّف مومين ترول والآنسة سنورك والقلقُ يعتريهما عند حافَّةِ الفسحَةِ. خلالَ السَّديم لمحَا بصعوبةٍ بيتًا صغيرًا حول مدخنتِه وأعمدةِ البوابةِ أكاليلُ

من ورقِ أشجارِ ريَّانٍ.

في السَّديم أو في البيت، ما انفكَّا يسمعان رنينَ جرسٍ صغيرٍ. ثم يعمُّ السُّكون - ثمَّ يعود الرَّنين ثانيةً. لكنْ لم يظهر أيُّ دخانٍ من مدخنتِه وبدَتْ نافذتُهُ معتمةً.

✽ ✽ ✽

بينما جرى هذا كلُّه، كان الصَّباح على متنِ الدَّار العائمةِ أسوأَ صباحٍ على الإطلاق. امتنعت ماما مومين عنِ الأكلِ. جلست علَى الكرسيِّ الهزَّازِ وكرَّرت مرَّةً تلو مرَّةٍ: «الأطفال المساكين، طفلِي الحبيب المسكين مومين ترول! وحده على شجرة! لن يعثرَ أبدًا على طريقِه إلى البيتِ. فكِّرُوا فقط في الليل عندما يهبطُ ويبدأُ البوم بالنَّعيق!»

«لن ينعقَ البومُ قبلَ شهرِ آب،» حاولَ هومبر طمأنَتها.

«لا بأس، ما علينا،» غمغمَتْ ماما مومين وهي ما زالَتْ تنشجُ. «هناك دائمًا شيءٌ ما أو غيرُه ينعقُ.»

حدَّق بابا مومين بحزنٍ في فتحةِ سقفِ مخزنِ المؤنِ. «هذا كلُّه بسببي،» قال.

«يجب ألَّا تقولَ هذا،» هتفَتْ ماما مومين. «لا بدَّ من أنَّ عصَاك كانت قديمةً ومهترئةً، ومن يمكن أن يتكهَّنَ بأنَّ هذا سيحدثُ؟ وأنا واثقةٌ تمامًا من أنَّهما سيهتديان إلى طريق العودةِ قريبًا. أنا حقًّا متأكِّدةٌ!»

«إذا لم يلتهمهما شيءٌ،» هسهسَتْ ماي الصَّغيرة. «إذا لم يعقصهُمَا النَّمل وبالتَّالي أصبحَا الآن أكبرَ حجمًا من البرتقال.»

«اركضِي والعبِي الآن، وإلَّا لن تنالَي أيَّ حلوى،» تصدَّت لها أختها بنت الميمبل.

غيَّرت ميزابيل ثوبَها إلى فستانٍ أسودَ. قبعتْ في زاويةٍ، واستمتعتْ بنوبةٍ جيِّدةٍ من البكاءِ وحدها.

«أحقًّا تتقبَّلين هذا بصعوبةٍ كبيرةٍ؟» سألها هومبر بنبرةٍ متعاطفةٍ.

«لا، قليلًا فقط،» ردَّت ميزابيل. «لكنَّني أستغلُّ الفرصةَ لأبكيَ على أشياءَ كثيرةٍ الآن ما دام هناك سببٌ وجيهٌ.»

«أوه، فهمْتُ،» أجابَ هومبر من غيرِ أنْ يستوعبَ تمامًا ما عنَته.

حاولَ فهمَ سببِ الحادثِ. تفحَّص الفتحةَ في سقف المخزنِ وأرضيَّةَ غرفةِ الجلوسِ. الشَّيءُ الوحيد الذي اكتشفه كان بابًا خفيًّا تحت السَّجادة. يُفتَحُ مباشرةً على الماء القاتم المتموِّج تحت الدارِ. وقد أثارَ ذلك اهتمام هومبر كثيرًا جدًّا.

«لعلَّه نوعٌ من مزلقِ غبارٍ،» قال. «أو مسبحٌ. هذا إن لم يكنْ لتخلُّصِ المرءِ من أعدائِه؟»

لم يبدِ أحدٌ اهتمامَه ببابِهِ السِّحري ذاك. فقط ماي الصَّغيرة انبطحَتْ لتنظرَ في الماءِ. «أَفترضُ أنَّه للأعداء،» قالت. «بابٌ سحريٌّ رائعٌ للأوغاد الكبارِ

والصِّغار!» بقيت منبطحةً هناكَ النَّهارَ بطولِه تبحثُ عن الأوغادِ، ولسوءِ الحظِّ لم تلمحْ أحدًا منهم.

✽ ✽ ✽

لا أحد لَامَ هومبر بعد أنْ جرَى ما جرى.

حدث ذلك قبل العشاء تمامًا.

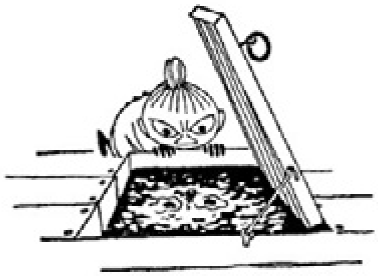

لم تخرج إيمَّا طوال اليوم، ولم تظهر حتى عندما حانَ وقت العشاء.

«لعلَّها مريضةٌ،» قالت ماما مومين.

«ليس هي!» سارعت بنت الميمبل إلى القول. «اقتنصَتْ كميَّةً كافيةً من السُّكّرِ لتقتاتَ عليها.»

«يا عزيزتي، أسرعي وانظري إذا كانت بخير،» قالت ماما مومين بصوتٍ واهنٍ.

ذهبَتْ بنت الميمبل إلى زاوية إيما وسألت: «تُحييكِ ماما مومين وتسأل هل تعانين من وجعٍ في بطنك من ذلك السُّكّر كلِّه؟»

انتصب شاربَا إيما، ثمَّ قبل أن تفكِّرَ في جواب مناسب اهتزَّ البيت مع صدمةٍ هائلةٍ ومال بشكلٍ خطرٍ.

جاءَ هومبر يتخبَّط على الأرضيَّةِ وسط انهيارِ خزفيَّات الطَّعامِ، وصورِ السَّقف التي خرَّت أرضًا ودفنَت غرفةَ الجلوسِ.

«اصطدمنا باليابسة،» صاحَ بابا مومين، وهو يكادُ يختنق تحت السَّتائرِ المخمليَّةِ.

«ماي!» صرخت بنت الميمبل. «أين أختِي؟»

لكن ما كانت ماي الصَّغيرة لتتمكَّنَ من الرَّدِ عليها حتى لو رغبت في ذلك ولو لمرَّةٍ. إذ تدحرجَتْ مباشرةً عبر فتحة البابِ السِّحريِّ، وسقطت في الماء القاتمِ.

فجأةً ضجَّتِ الغرفَةُ بضحكةٍ مروِّعةٍ. كانت تلك ضحكةَ إيما المريرة.

«ها، ها!» قهقهَتْ. «ها أنتم الآن! هذا سيعلِّمكم ألَّا تصفِّروا وأنتم على خشبةِ المسرَحِ!»

6

عن الانتقامِ من حارسِ الحديقةِ

لو كان حجمُ ماي الصَّغيرة أكبرَ قليلًا، لربَّما غرقَتْ. لكن بحجمها المنمنمِ ذاك ترنَّحت بخفَّةٍ مثل فقاعةٍ خلال الماء المصطخب، وبينما هي تشخرُ وتبصقُ عادَتْ ورفعَتْ رأسَها خارجَ الماء. طفَت مثل فلِّينةٍ وبسرعةٍ شديدةٍ حملها التَّيَّار بعيدًا.

«هذا مسلٍّ،» حدَّثت ماي الصَّغيرة نفسَها. «أختي ستتساءلُ!» نظرت حواليها ولمحت علبةَ كعكِ ماما مومين وسلَّةَ أشغالِها عائمتَين على مقربةٍ منها، بعد شيءٍ من التَّرددِ (لأنَّها عرفت أنَّه ما زال في العلبةِ بعضُ الكعكِ) اختارَت سلَّةَ الأشغال وتسلَّقت إليها.

تسنَّى لها وقت طويل ممتعٌ لتتفحَّصَ كلَّ شيءٍ في السَّلَّة، ولتقطع كُرتَينِ منَ الخيوطِ. ثمَّ تقوقعَتْ في كومةِ صوفِ الأنغورا ونامَتْ.

أبحرتْ سلَّةُ الأشغالِ. كانت دارُ المسرح قد حطَّت على اليابسة وسطَ خليجٍ صغيرٍ، أمَّا السَّلَّةُ فانجرفت تُجاه الشَّاطئ، حيث، توقَّفت أخيرًا في الوحلِ بين عيدانِ القصبِ. هذا لم يوقظْ ماي الصَّغيرة المعروفة بنومها الثَّقيلِ. ولم تستيقظْ في البدايةِ عندما طارَ خطَّافُ صنارةِ صيدٍ وعلقَ بسلَّةِ الأشغالِ. اهتزَّتِ السَّلَّةُ عندما توتَّرَ خيطُ الصِّنارةِ ثمَّ رُفعت ببطءٍ.

يا عزيزيَ القارئ، تحضَّر للمفاجأةِ. إنَّ الحظَّ والصُّدفة أمران غريبان. إذ حدثَ أن وصلَتْ عائلةُ المومين وسنفكين إلى الخليج الصَّغيرِ نفسِه في مساء منتصفِ الصَّيف من غير أن يعرفَ أيٌّ منهما شيئًا عنِ الآخرِ. كان الذي اصطاد السَّلَّةَ سنفكين بنفسِه بقبَّعتهِ الخضراءِ القديمة، والذي وقف في تلك اللحظة عند الشَّاطئ يحدِّق في السَّلَّةِ.

«بحقِّ قبَّعتي إن لم تكن هذه ميمبل صغيرة،» غمغَمَ وأخرج غليونه من فمهِ. ثم وكزَ ماي الصَّغيرة برفقٍ بخطَّافٍ كروشيه وقال بلطف: «لا تخافِي!»

«لست خائفةً ولا حتَّى من النَّملِ،» ردَّت ماي الصَّغيرة وقعدَتْ.

نظر كلٌّ منهما إلى الآخرِ.

عندما التقيا آخر مرَّةٍ كانت ماي الصَّغيرة أصغرَ بكثيرٍ جدًّا بحيث لا تكاد تكون مرئيَّةً، لذا ليس من المستغربِ كثيرًا أنَّهما لم يميِّزا بعضهما.

«جيِّدٌ، جيِّدٌ، يا صغيرتي،» همهمَ سنفكين وحكَّ رأسَه.

«جيِّدٌ أنتَ بنفسك، وزيادة،» قالت ماي الصَّغيرة.

تنهَّد سنفكين، فهو ما جاءَ إلى هنا إلَّا من أجل عملٍ مهمٍّ، وتمنَّى حقًّا أن يبقى وحدَه عدَّةَ أيَّامٍ قبل العودة إلى وادي المومين من أجل الصَّيف. ثمَّ، ها هي ميمبل مُهمِلةٌ وضعتَ طفلتَها في سلَّةِ أشغالٍ وسلَّمتها للبحر. لمجرَّدِ التَّسلية.

«أين أمَّكِ؟» سألَها.

«أكلَها أحدُهم،» واجهته ماي الصَّغيرة بكذبةٍ. «معك أيُّ طعامٍ؟»

أشار سنفكين بمبسمِ غليونِه. كان هناك قدرُ بازلَّاء صغيرٍ يغلي ببطءٍ على نارِ مخيَّمِه. وقربَه قدرٌ آخرُ فيه قهوةٌ ساخنةٌ.

«لكن أفترضُ أنَّكِ تشربين الحليب،» قال.

أطلقت ماي الصَّغيرة ضحكةَ ازدراءٍ. ولم يطرفْ لها جفنٌ وهي تحتسِي ملعقتَين صغيرتَين طافحتَين بالقهوةِ، وأكلت ما لا يقلُّ عن أربعِ حبَّات بازلَّاء.

بعدئذٍ صبَّ سنفكين الماءَ على نارِ المخيَّمِ وأخمدها بعنايةٍ ثمَّ قال: «والآن؟»

«الآن أريدُ أن أنامَ أكثر،» أعلنت ماي الصَّغيرة. «وأفضِّلُ النَّومَ في جيوبِ الثِّياب.»

«حسنٌ،» غمغمَ سنفكين ووضعَها في جيبِ بنطلونِه. «الشَّيءُ الأساسيُّ في الحياةِ هو أنْ يعرفَ المرء ما يريدُه.» ودسَّ صوفَ الأنغورا فوقَها.

بعدئذٍ تابع سنفكين طريقَه عبر المروج إزاءَ الشَّاطئِ.

لم تبلغْ قطُّ موجةُ الفيضان العظيمة في اندفاعِها الخليجَ الصَّغيرَ. والصَّيفُ في تلك البقعة بدا كما لو أنَّه على طبيعتهِ المعتادةِ. ولا أحد هناك بلغه أيُّ علمٍ عنِ الانفجارِ البركانيِّ، حتَّى مع تجوُّلِ سنفكين في أغلب الأحيان أثناء غروبِ الشَّمسِ الأحمرِ البديع، والرَّمادُ يتطاير مع الرِّيح في تلك الآونة. لم يعرفْ شيئًا مطلقًا عمَّا جرى لأصدقائِهِ في وادي المومين، وافترضَ أنَّهم في هذهِ اللحظة قد تجمَّعُوا في الشُّرفة من أجل الاحتفالِ الهادئِ بمنتصف الصَّيفِ.

خطرَ مومين ترول أحيانًا على ذهنِه، مومين ترول الذي بلا ريبٍ يترقَّبُ عودتَه. لكن أوَّلًا عليه أنْ يسويَ حسابَه مع حارسِ الحديقةِ. وذاك لا يمكنُ أنْ يأخذَ مجراه إلَّا في أمسية منتصفِ الصَّيف.

في الغدِ يكون كلُّ شيءٍ بلا فائدة.

أخرج سنفكين الهارمونيكا، وبدأ يعزفُ أغنيتَه وأغنيةَ مومين ترول المعهودة. «آه، كلُّ المخلوقات الصَّغيرةِ ينبغي أن تزيِّنَ ذيولها بالأقواسِ».

صحت ماي الصَّغيرة في الحالِ وأظهرت رأسَها.

«أعرفُ هذه الأغنية،» هتفَتْ. ثمَّ بدأت تغنِّيها بصوتِها الحادِّ الذي يشبهُ طنين البعوضِ: ...كلُّ المخلوقات الصَّغيرةِ ينبغي أن تزيِّنَ ذيولَها بالأقواسِ

لأنَّ جماعة الهيميولن يغلقونَ السُّجونَ الآن،

والهومبر سيرقصُ للقمر ويبتهج.

تمخَّطي قليلًا يا ميزابيل الصَّغيرة، واسخري من الضَّوضاء!

تأمَّلوا الزَّنابقَ كم هي سعيدة ومتألّقة

إنَّها تشعُّ في ضوءِ الصَّباح البديعِ!

رويدًا، أوه، رويدًا تبهتُ الليلة السَّماويَّةُ

مثل تردُّدِ صدى صوتٍ!

«أين يمكن أنْ تكونِي قد سمعتِ هذه الأغنية؟» تساءَلَ سنفكين بشيءٍ منَ الدَّهشةِ. «غنَّيتِها كما ينبغي تقريبًا. أنتِ طفلةٌ عجيبةٌ.»

«معكَ حقٌّ في هذا يا رفيق،» قالت ماي الصَّغيرة. «وعندي سرٌّ أيضًا.»

«سرٌّ؟»

«بالتَّأكيد، سرٌّ عن عاصفةٍ رعديَّةٍ ليست عاصفةً رعديَّةً، وغرفةُ جلوسٍ تدور. لكنِّي لن أخبرَك أكثر من هذا!»

«أنا أيضًا لديَّ سرٌّ،» قال سنفكين. «في حقيبتي... سأريكِ ما هو بعدَ قليل؛ لأنَّني أنوي تصفيةَ حسابٍ قديمٍ مع أحدِ الأوغادِ!»

«كبيرٌ أم صغيرٌ؟ «سألته ماي الصَّغيرة.

«صغيرٌ،» أجاب سنفكين.

«هذا جيِّدٌ. فالأوغاد الصِّغار أفضلُ بكثيرٍ. هم يُهزمون بمزيدٍ من السُّهولة.» علَّقَتْ ماي الصَّغيرة.

ثمَّ زحفَتْ داخل الجيبِ بسعادةٍ، وغمرتْ نفسَها بصوفِ الأنغورا، وتابع سنفكين طريقَهُ. كان قد وصل إلى سياجٍ طويلٍ ممتدٍّ وعليه عُلِّقت لافتاتٌ بمسافاتٍ منتظمَةٍ:

الدُّخول ممنوعٌ منعًا باتًّا

كان حارسُ الحديقةِ والسَّجَّانةُ يعيشان معًا في الحديقة طبعًا. درجَا على قطعِ وقصِّ كلِّ شجرةٍ من أشجارِ الحديقةِ إلى أشكالٍ مستديرة ومكعَّبات، وتمهيدِ ممرَّاتِ الحصى باستقامةٍ كعقاربِ السَّاعة. وحالما يجرؤ نصلُ عشبٍ واحدٍ على النُّمو يقصَّانِه، فيضطرُّ إلى الكفاح للنموِّ من جديد.

كان مرجُ الحديقة مسيَّجًا من الجوانبِ كافةً، وعلى الأسيجةِ عُلِّقت يافطاتٌ بحروفٍ سوداءَ كبيرةٍ تفيد أنَّ شيئًا أو آخرَ غيرُ مسموحٍ.

إلى هذه الحديقة الفظيعة يأتِي يوميًّا أربعةٌ وعشرون طفلًا مغلوبٌ على أمرهِم. أطفالٌ لسببٍ وآخرَ منسيُّون أو تائِهون. كانوا من مخلوقاتِ الغابةِ ذات الفراءِ، وقد أحبُّوا ارتيادَ الحديقة ولكن ليلعبُوا كما قيلَ لهم في صندوقِ رملٍ. ما رغبُوا فيه هو أن يتسلَّقُوا الأشجارَ، أن يقِفُوا على رؤوسهِم، وأنْ يسرحُوا ويمرحُوا في المرجِ العشبيِّ...

لا حارس الحديقة ولا السَّجانة استطاعا استيعاب ذلك. دأبَا على الجلوس عند طرفَي صندوقِ الرَّمل ومراقبةِ مخلوقاتِ الغابةِ هذه. فماذا إذًا في هذه الحالة يمكن أن يفعلَ الأطفالُ؟

❀ ❀ ❀

إلى هذه الحديقة جاءَ سنفكين وماي الصَّغيرة في جيبِ بنطلونهِ. تسلَّلَ بهدوءٍ ميمّمًا السِّياج وعيناه على عدوِّه القديمِ حارسِ الحديقةِ.

«ماذا تنوي أن تفعلَ به؟» استفسرت ماي الصَّغيرة. «تشنقَه، تسلقَه، أو تُحنِّطَه؟»

«أخيفه!» أجابَ سنفكين وهو يطبقُ أسنانه على مبسمِ الغليون. «هناك شخصٌ واحدٌ فقط في العالَم أكرهُه حقًّا، وذاك الشَّخص هو حارسُ الحديقةِ.

سأنزعُ يافطاته عنِ الأشياءِ المحرَّمةِ في الحديقةِ.»

انهمكَ سنفكين يفتِّشُ في حقيبتهِ، وأخرجَ منها كيسًا ورقيًّا كبيرًا. كان الكيسُ عامرًا ببذورٍ صغيرةٍ بيضاءَ ولمَّاعةٍ.

«ما ذاك؟» سألته ماي الصَّغيرة.

«بذورُ هاتيفاتنر،» أجابَ سنفكين.

«أوه،» أبدت ماي الصَّغيرة دهشتَها. «هل يأتي الهاتيفاتنر منَ البذورِ؟»

«نعم،» قال سنفكين. «لكنَّ الأمرَ المهمَّ هو أنَّهم لا يولدون إلَّا إذا زُرِعت البذورُ في أمسيةِ منتصفِ الصَّيفِ.»

بدأ يرمي حفناتِ البذورِ بين قضبانِ الأسيجةِ. تسلَّلَ بهدوءٍ على طول سياجِ الحديقةِ بأسرهِ وبعثرَ بذورَه في كلِّ مكانٍ، وحرصَ على رميها متباعدةً، حتَّى لا تتشابكَ أكفُّ الهاتيفاتنر وهم ينبثقون من الأرضِ. وعندما فرغَ كيس سنفكين جلسَ وأشعلَ غليونَهُ وانتظرَ.

كانت الشَّمسُ تميل نحو الغروبِ، لكنَّ الأمسيةَ كانت دافئةً، ولذا بدأ الهاتيفاتنر ينمون حالًا. هنا وهناك على العشبِ المُشذَّبِ بعنايةٍ؛ فقاقيعُ صغيرةٌ مستديرةٌ أخذت تنبثق مثل كُريَّاتِ ثلجٍ.

«انظري إلى ذاك،» غمغمَ سنفكين. «خلال فترةٍ قصيرةٍ ستصبحُ لديه عينانِ خارجَ الأرضِ.»

وقد كان محقًّا. بعد وقتٍ قصيرٍ جدًّا ظهرتَ عينان مستديرتانِ تحت الجمجمةِ البيضاءِ.

«هم مكهربون بشكلٍ خاصٍّ عندما يكونون حديثي الولادة،» فسَّر سنفكين. «انظرِي الآن، صارَتْ لديه كفَّان!»

ما لبث أنْ شاعَ في الهواء صوتُ حفيفٍ خافتٍ منَ الهاتيفاتنر المنبثقينَ. بيد أنَّ حارسَ الحديقة لم يلاحظْ بعد أيَّ شيء غير عاديٍّ، لأنَّه جلسَ يراقبُ أطفالَ الغابةِ الصِّغار بعينين حادَّتين. لكن على المرج العشبيِّ من حولِه كان الهاتيفاتنر يظهرونَ بالمئاتِ. وقريبًا سيقومون بخطواتِهم الأولى. انجرفَتْ عبر الحديقة رائحةُ كبريتٍ ومطاطٍ محترقٍ. تشمَّمتِ السَّجانةُ الهواءَ.

«ما تلك الرَّائحة؟» انبرتْ تسأل. «يا أطفالُ، أيُّ واحدٍ منكم تفوحُ منه رائحةٌ؟»

سرعان ما بدأت صدماتٌ كهربائيَّةٌ طفيفةٌ تُلحظُ في الأرض.

أخذَ حارسُ الحديقةِ يحرُّك قدميه باضطرابٍ. وأخذت أزرارُ سترتِه المعدنيَّةِ اللماعَةِ تومضُ بشراراتٍ زرقاءَ صغيرةٍ.

علىَ حين غرَّةٍ أطلقتِ السَّجانةُ صرخةً، وهبَّت واقفة من مقعدِها. أشارتْ بإصبعٍ مرتعشٍ إلى المرجِ.

نما الهاتيفاتنر حتَّى بلغُوا حجمَهم الطَّبيعي، وأقبلُوا يندفعون ويتدافعون نحو حارسِ الحديقة من مختلفِ الاتِّجاهات، تجذبُهم أزرارُه المكهربةُ، وتخلَّلتِ الهواء ومضاتُ برقٍ طفيفةٍ، وبدأتِ الأزرارُ تطقطقُ. فجأةً غدا حارس الحديقة مضاءً من رأسِه إلى قدميهِ! ثمَّ وهو يشعُّ مثل قمرٍ مكتملٍ أسرعَ نحو بوابةِ الحديقَةِ، وجيشُ الهاتيفاتنر في أعقابِهِ.

أمَّا السَّجانةُ فكانت في تلك الآونة تتسلَّقُ السِّياجَ. ولم يبقَ هناك إلَّا الأطفالُ الصِّغارُ. جلسُوا بهدوءٍ في صندوقِ الرَّمل وهم في دهشةٍ عظيمةٍ.

«ذكيٌّ،» قالت ماي الصَّغيرة مُبديةً إعجابَها.

«وذاك ذاك!» علَّق سنفكين وهو يدفعُ قبَّعتَه إلى الخلفِ. «والآن سننزعُ اليافطاتِ كلِّها بلا استثناءٍ، وسيسمحُ لأيِّ نصلِ حشيشٍ أن ينموَ كما يحلُو له.»

تاق سنفكين طوالَ عمرِهِ إلى نزعِ يافطَاتٍ حرَّمت عليه أن يفعلَ ما يشتهي فعله، وكان يرتعشُ بوضوحٍ من الحماسةِ والتَّرقبِ. ترتيب الكلام هكذا - العبارات التي بالأسود في منتصف السطر بوضوحٍ من الحماسةِ والتَّرقبِ. بدأَ بـ: التَّدخينُ ممنوعٌ

ثمَّ طارَ إلى:

لا جلوس على العشبِ

بعد ذلك التفت إلى:

الضَّحكُ والصَّفيرُ

ممنوعان منعًا باتًّا

وفي الدَّقيقةِ التَّالية:

غير مسموحٍ هنا النطُّ والوثوبُ

أو القفزُ أيضًا

بكلِّ تأكيدٍ

وطبعًا ألحقَها بغيرِها.

حدَّقَ فيه صغار الغابةِ بمزيدٍ ومزيدٍ منَ الدَّهشةِ.

وشيئًا فشيئًا خطر لهم أنَّه قد جاءَ لنجدتِهم. غادرُوا صندوقَ الرَّملِ وتحلَّقوا حولَه.

«اذهبُوا إلى البيتِ يا أطفال،» قال سنفكين. «اذهبُوا حيثما تشاؤون.»

لكنَّهم لم يذهبُوا، تبعوهُ أينما مشَى. وعندما داسَ آخرَ يافطةٍ أُلقيَتْ أرضًا، ورفعَ حقيبتَه إلى ظهرهِ، لاحظَ أنَّهم ما زالُوا في أعقابِه.

«هيَّا، هشّ يا صغار،» نهرَهم سنفكين. «سارِعُوا فورًا إلى أمهاتِكم الآن.»

«ربَّما هم بلا أمَّهاتٍ،» اقترحَتْ ماي الصَّغيرة.

«لكن أَنا لست معتادًا مطلقًا على الأطفالِ!» قال سنفكين الذي اعتراه الفزعُ. «بل لا أدري حتَّى هل أحبُّهم أو لا!»

«يظهرُ عليهم أنَّهم يحبُّونَك،» واجهته ماي الصَّغيرة وهي تبتسمُ ابتسامةً عريضةً.

نظر سنفكين إلى المجموعة المتحلِّقةِ حول ساقيه والمُعجبةِ به بصمتٍ.

«كما لو أنَّ طفلةً واحدةً ليست كافيةً،» همهمَ. «طيب. تعالَوا إذًا. لكن لا تلومُوني إذا سارتِ الأمورُ بشكلٍ سيِّئٍ!»

ومع أربعةٍ وعشرينٍ طفلًا عند قدميه مشَى سنفكين مبتعدًا عنِ المرجِ العشبيِّ، وتساءلَ بكآبةٍ ما يمكن أن يفعلَ عندما يجوعونَ، عندما يبلُّون أقدامهم، وعندما يصابُون بوجعِ بطنٍ.

7

عن أخطارِ ليلةِ منتصفِ الصَّيفِ

في العاشرةِ والنِّصفِ من ليلةِ منتصفِ الصَّيف، ولحظةَ انهمكَ سنفكين يبني كوخًا من أغصانِ التَّنوب لأطفالِه الأربعِ وعشرين، وقفَ مومين ترول والآنسة سنورك يصغيان في موقعٍ آخرَ من الغابةِ.

رنينُ الجرسِ الذي سمعَاه خلال السَّديمِ صمَتَ ثانيةً. كانتِ الغابةُ نائمةً، وزجاجُ النَّوافذِ المُعتمِ والخاوي في البيتِ المتواضِعِ عندَ الفسحَةِ حملقَ بحزنٍ فيهمَا.

لكن في الدَّاخلِ كانت تجلسُ فيليجونكة، تستمعُ إلى تكتكةِ السَّاعة ومرورِ الوقتِ. وما بين حينٍ وآخرَ تقصدُ النَّافذةَ وتنظرُ إلى ليلةِ حزيرانَ البهيَّةِ، وكلَّما تحرَّكت صدرَ رنينٌ خفيفٌ منَ الجرسِ الذي علَّقتهُ بشُرَّابةِ قبَّعتِها. درجَ هذا على إسعادِ الفيليجونكة (ولذلك خاطتهُ بالشُّرَّابةِ)، لكن في هذه الليلةِ لم

يجعلْهَا إلَّا أشدَّ حزنًا فقط. تنهَّدت وتجوَّلت في البيتِ، جلسَت ونهضَت مرَّةً أخرى.

كانت قد وضعتْ على الطَّاولة ثلاثةَ صحونٍ وأكوابٍ وإناءِ أزهارٍ، وفي فرنِها فطيرةٌ غدت بسوادِ الفحمِ من طولِ الانتظارِ.

نظرَتِ الفيليجونكة إلى ساعتِها، وإلى الأكاليلِ عند البابِ، ثم إلى نفسِها في مرآةِ الحائطِ - وبعدَ ذلك دفنَتْ رأسَها بذراعَيها على الطَّاولةِ وبدأتْ تبكي. انزلقَتْ قبعتُها إلى الأمام مطلقةً رنَّةَ جرسٍ واحدةٍ كئيبةٍ، وتدحرجَتْ دموعُها ببطءٍ على صحنِها الفارغِ.

ليس من السَّهلِ دائمًا أن يكونَ المرءُ فيليجونكة...

في تلك اللحظة قرعَ شخصٌ ما البابَ.

قفزَتِ الفيليجونكة من وقعِ المفاجأةِ، وهبَّت على قدمَيها، تمخَّطت، وفتحتِ الباب.

«أوه،» هتفتْ بخيبةِ أملٍ.

«منتصفُ صيفٍ سعيدٌ!» بادرتهَا الآنسة سنورك بالقولِ.

«شكرًا، وأنتِ أيضًا،» أجابتِ الفيلجونكة بارتباكٍ. «لطيفٌ منكِ أن تتمنَّي لي هذا.»

«حسنًا، توقَّفنا فقط لنسألكِ إذا لمحت أيَّ دارٍ جديدةٍ عليكِ في هذه الأنحاء، أعني دارَ مسرحٍ،» قال مومين ترول.

«مسرح؟» كرَّرت الفيلجونكة. «لا، العكس تمامًا. أعني لا أبدًا.»

خيَّمت عليهم مهلةُ صمتٍ طفيفةٌ.

«في تلك الحالة، أعتقد أنَّ علينا المُضي في طريقنا،» قال مومين ترول. «شكرًا على أيٍّ حال.»

نظرتِ الآنسة سنورك إلى الطَّاولةِ المُعدَّة وإلى الأكاليلِ عندَ الباب. «تمتَّعي بحفلةٍ سعيدةٍ،» قالت بصدقٍ.

كشَّرت الفيليجونكة عند سماع هذه الكلمات، وبدأَتْ تبكِي من جديدٍ.

«لا حفلة هناك،» نشجَتْ. «يبستِ الفطيرةُ وبدأتِ الأزهار تذبلُ، والسَّاعةُ تتكْتكُ فحسبُ، ولا أحد يأتي. إنَّهما لن يأتيا هذه السَّنة أيضًا! ليس لديهما أيُّ شعورٍ بالعائلةِ!»

«مَن الَّذي لن يأتي؟» استفسرَ مومين ترول بتعاطفٍ.

«عمِّي وزوجتُه!» ناحتِ الفيليجونكة. «لا أكفُّ عن إرسالِ بطاقةِ دعوةٍ لهما في كلِّ أمسيةِ منتصفِ صَيفٍ، لكنَّهما لا يُلبِّيانِ الدَّعوةَ أبدًا.»

«لماذا إذًا لا ترسلينَ دعوةً لشخصٍ آخرَ؟» سألَها مومين ترول.

«لا أقرباء آخرين لديَّ،» وضَّحت الفيليجونكة. «أليسَ من واجبِ المرءِ أنْ يدعوَ أقاربَه إلى العشاءِ في المناسباتِ؟»

«ما يعني أنَّكِ لا تحبِّين هذا حقًّا؟» استنتجَتِ الآنسة سنورك.

«طبعًا لا أحبُّه،» أجابتِ الفيليجونكة بإعياءٍ وغرقت في كرسيِّها عندَ الطَّاولةِ. «عمِّي وعمَّتي ليسا شخصَين لطيفَين كثيرًا.»

جلسَ مومين ترول والآنسة سنورك إلى جانبِها.

«لعلَّهما هما أيضًا لا يحبَّان هذا؟» قالَتِ الآنسة سنورك. «وأفترضُ أنَّك بدلًا منهما لن تطلبي منَّا نحن اللطيفَين تلبيةَ دعوتِك؟»

«ماذا تعنين؟» هتفَتِ الفيليجونكة بصوتٍ متفاجِئٍ.

بدا واضحًا أنَّها أجهدَتْ نفسَها بالتَّفكيرِ. فجأةً ارتفعت شُرَّابةُ قبَّعتِها قليلًا في الهواء وصدرتْ من الجرسِ رنَّةٌ مرحةٌ.

«في الحقيقةِ،» قالت برويَّةٍ،» لا داعي إلى دعوتهما ما دُمنا لا أنا ولا هما نحبُّ ذلك!»

«بالتَّأكيد لا داعي لهذا،» قالتِ الآنسةُ سنورك.

«ولن يتأذَّى أحدٌ إذَا دعوتُ أيَّ شخصٍ أستلطف؟ حتى لو لم يكن من أقاربِي؟»

«بالتَّأكيد لن يتأذَّى أحد،» أكَّدَ لها مومين ترول.

شعَّ وجهُ الفيليجونكة بالارتياحِ. «أكانَ الأمر بهذه السُّهولةِ؟» هتفت. «أوه كم هذا مريحٌ! الآن سنحتفلُ بأوَّلِ منتصفِ صيفٍ سعيدٍ يمرُّ عليَّ، وكيف سنحتفلُ! رجاءً، رجاءً، لنفعل شيئًا مثيرًا جدًّا!»

❃ ❃ ❃

في الواقع كانَ الاحتفالُ بمنتصفِ الصَّيف هذا أكثرَ إثارةً من أيِّ شيء حلمَتْ بهِ الفيليجونكة.

«في صحَّة بابا وماما!» قال مومين ترول وأفرغَ كأسَه. (في تلك اللحظةِ كان بابا مومين جالسًا على متنِ المسرحِ يرفعُ قدحَهُ نحو الليلِ ليشربَ نخبَ ابنِهِ. «نخب مومين ترول وعسَى أن تكونَ عودَتُه ميمونةً،» قالَ بجديَّةٍ. «ونخب الآنسة سنورك وماي الصَّغيرة!») كانَ الجميعُ راضِينَ وسعداءَ.

«والآن إلى نارِ منتصَفِ الصَّيفِ،» هتفتِ الفيليجونكة. أخمدَتِ المصباحَ، ووضعتْ علبةَ عيدانِ الثُّقاب في جيبِ ثوبها.

في الخارجِ كانتِ السَّماء ما زالت مُضيئةً، واستطاعُوا تمييزَ أيِّ نصل حشيشٍ في الأرض. ووراءَ قمم أشجارِ التَّنوب، حيث ذهبتِ الشَّمسُ لترتاحَ فترةً، استودعَتِ السَّماءَ شريطَ ضوءٍ أحمرَ بانتظارِ قدومِ النَّهار التَّالي.

تجوَّلوا في الغابة التي لاذت بالصَّمتِ، ووصلُوا إلى المروجِ إزاءَ الشَّاطئ، حيث ما زالَ الليلُ مضيئًا.

«للأزهارِ رائحةٌ غريبةٌ الليلةَ،» أشارتِ الفيليجونكة.

كانت هناك رائحةٌ طفيفةٌ لِمطاطٍ محروقٍ تنجرفُ على الأرض، والعشبُ طقطقَ بالكهرباءِ عندمَا داسُوا عليه.

«تلك رائحة الهاتيفاتنر،» وضَّحَ مومين ترول بشيءٍ من الدَّهشة. «ظننت أنَّهم يمَّموا البحر في هذا الوقت منَ السَّنة.»

تعثَّرتِ الآنسة سنورك بشيءٍ ما. «لا جلوس على العشب،» قرأت. «انظرَا،» صاحت، «ثمَّةَ الكثيرُ من اليافطات التي رماها أحدهم!»

«رائع! كلُّ شيءٍ مسموحٌ!» صاحتِ الفيليجونكة. «يا لها من ليلةٍ! هيَّا نوقدُ مشعلتَنا من هذه اليافطات! ونرقصُ حول النَّارِ إلى أن تحترقَ تمامًا وتتحوَّل إلى رمادٍ!»

✽ ✽ ✽

احترقَتْ مشعلةُ منتصفِ الصَّيفِ بطريقَةٍ بهيَّةٍ. وبطقطقَةٍ مرحةٍ استُهلكَت كومة اليافطَاتِ التَّافهةِ: «الغناءُ ممنوعٌ في الحديقة»، «لمسُ الأزهارِ ممنوعٌ،» و «الجلوسُ على العشبِ مسموحٌ بناءً على إذنٍ خاصٍّ فقط»... زخَّاتٌ من الشَّرر تطايرت نحو سماءِ الليلِ الباهتةِ، ودخانٌ كثيفٌ تموَّج فوقَ المروجِ وبقي عائمًا في الهواء مثلَ ستائرَ صوفيَّةٍ بيضاءَ.

انبرَتِ الفيليجونكة تغنِّي. رقصتْ على ساقَين نحيلَتين حولَ النَّارِ، ووكزَتِ الجمرَ بعصًا.

«لا مزيد من عمِّي أبدًا،» غنَّت. «ولا مزيد من عمَّتي أبدًا. لن أدعُوهمَا للزيارةِ أبدًا. لن أفعلَ الآن، ولن أفعلَ لاحقًا ولن أفعلَ أبدًا!»

أمَّا مومين ترول والآنسة سنورك فجلسا جنبًا إلى جنب يتأمَّلان النَّار برضًا.

«ماذا برأيكِ تفعلُ أمِّي الآن؟» تساءلَ مومين ترول.

«تحتفلُ طبعًا،» ردَّتِ الآنسة سنورك.

أخيرًا انهارتْ كومةُ اليافطاتِ وسَطَ زخاتٍ من الشَّرر. وصاحَتِ الفيليجونكة ابتهاجًا.

«لن يلبثَ أن يداهمَني النُّعاس،» غمغمَ مومين ترول. «أقُلتِ إنَّها تسعةُ أنواعٍ من الزُّهورِ؟»

«نعم، تسعةُ أنواعٍ،» أجابَتِ الآنسة سنورك. «وينبغي أنْ تَعِدَ بألَّا تنطقَ بكلمةٍ حتَّى الصَّباحِ.»

هزَّ مومين ترول رأسَه بوقارٍ. ثمَّ قامَ بعديدٍ من الإشارات التي عنت:
«تصبحانِ على خيرٍ، أراكُمَا ثانيةً غدًا،» وجرجرَ قدميهِ خلال العشبِ النَّديِّ.

«أنا أيضًا أريدُ جمعَ الزُّهور،» أعلنَتِ الفيليجونكة التي أقبلَتْ مسرعةً خارجَ الدُّخانِ سعيدةً وملطّخة بالسّخام. «أحبُّ الحيلَ السِّحريَّةَ! أتعرفين حيلًا أخرى غيرَها؟»

«أعرفُ حيلةَ منتصفِ صيفٍ سحريَّة ومخيفةٍ،» همسَتِ الآنسة سنورك. «وهي فظيعةٌ بشكلٍ لا يُوصَفُ.»

«أجروُ على أيِّ شيءٍ الليلة،» قالت الفيليجونكة مطلقةً من جرَسِها رنينًا متهوِّرًا.

تلفَّتتِ الآنسة سنورك تنظرُ حواليها. ثم مالتْ نحو الفيليجونكة، وهمسَتْ في أذنِها المترقِّبةِ: «عليكِ أوَّلًا أن تدوري سبع مرَّاتٍ حولَ نفسكِ، وأنت تهمهمين وتضربين قدمكِ بالأرض. بعد ذلك تمشين القهقرى إلى بئرٍ، وتستديرين هناك، وتنظرين في البئرِ. عندئذٍ، سترين في الماء الشَّخصَ الذي ستتزوجينه!»

«وكيف تخرجِينَه من هناك؟» استفهمَتِ الفيليجونكة بحماسةٍ.

«أوه لا، لا، إنَّهُ وجهُه فقط ما سترين،» فسَّرتِ الآنسة سنورك. «صورته! لكن أوَّلًا علينا أن نجمعَ تسعةَ أنواعٍ من الزُّهورِ. واحدٌ، اثنان، ثلاثةٌ، والآن إذا نطقْتِ بكلمةٍ واحدةٍ لن تتزوجِي أبدًا!»

بينما خمدتِ النَّارُ شيئًا فشيئًا وتحوَّلت إلى وهجٍ، وبدأ نسيم الفجرِ يتسلّلُ متكاسلًا فوق العشبِ، جمعَتِ الآنسة سنورك والفيليجونكة باقتيهما السِّرِّيتين. ومرَّةً تلو مرَّةٍ التقَتْ عيونُهما وضحكَتَا لأنَّ الضَّحكَ ليس ممنوعًا.

ثمَّ وصلتَا إلى البئرِ.

هزهزَتِ الفيليجونكة أذنَيها.

وأومأَتِ الآنسة سنورك برأسِها إيجابًا، والشُّحوبُ يعلوها قليلًا.

بدأتا تهمهمان بصوتٍ خافتٍ، وتضربانِ أقدامهما بالأرض وتستديران. خمسَ مرات، ستَ مرات. الاستدارةُ السَّابعةُ استغرقت وقتًا لأنَّهما شعرتا بكثيرٍ من الرّهبةِ. لكن حالما يبدأ المرء في القيامِ بسحرِ ليلةِ منتصفِ الصَّيف عليه المُضيُّ به وإلَّا قد يحدثُ أيُّ شيء.

بقلبَين يقرعَان بسرعةٍ رجعتَا القهقرى إلى البئرِ وتوقَّفتا هناك.

وضعت الآنسةُ سنورك يدها بيدِ الفيلجونكة، وأحكمَتْ قبضتَها عليها.

كان شعاعُ شمس السَّماء الشَّرقيَّةِ آخذًا في الاتساعِ، ودخانُ نارِ منتصفِ الصَّيفِ بدأ يتحوَّلُ إلى لونٍورديٍّ.

معًا، في الوقت نفسِه استدارتا ونظرتَا في البئرِ.

شاهدتَا انعكاس صورتيهما، شاهدتَا حافَّةَ البئر والسَّماءَ المتورِّدةَ.

انتظرتا، وهما ترتعشَانِ، انتظرتَا طويلًا.

وفجأةً - حسنًا، هذا في منتهى الفظاعة حقًّا - فجأةً أبصرتا رأسًا ضخمًا يظهر إلى جانب انعكاس رأسيهما.

رأس هيميولن!

هيميولن غاضبٌ وقبيحٌ جدًّا يعتمر قبَّعةَ شرطيٍّ.

لحظةَ التقطَ مومين ترول زهرتَهُ التَّاسعة من الأرض سمعَ صراخًا رهيبًا. وعندما استدارَ وقعت عيناه على هيميولن ضخمٍ يحملُ الآنسة سنورك بيدٍ والفيليجونكة باليدِ الأخرى ويهزُّهما بعنفٍ.

«هيَّا، أنتم الثَّلاثة!» زعقَ الهيميولن. «أيَّها المهووسون بافتعالِ الحرائقِ الشَّنيعة! أنكرُوا إذا استطعتم أنَّكم نزعتمُ اليافطاتِ وأحرقتموهَا! أنكِروا إذا استطعتم!»

لكن طبعًا لم يستطيعوا. فقد تعهَّدوا بألَّا ينطقُوا بكلمةٍ.

8

عن كيفيَّةِ كتابةِ مسرحيَّةٍ

تخيَّلُوا فقط ما قد يحدثُ لو علمَت ماما مومين أنَّ مومين ترول في السِّجن عندما استيقظت في صباح ليلةِ منتصفِ الصَّيف! ولو أنَّ أحدًا استطاع إخبارَ بنت الميمبل أنَّ أختَها الصَّغيرة كانت نائمةً في كوخِ أغصانِ التَّنوب الذي بناه سنفكين، دافئةً ومتقوقعَةً في حنايا صوفِ الأنغورا!

في هذه الآونة لم يكونوا على درايةٍ بشيءٍ، ولكنَّهم مفعمون بالأمل. ألمْ يسبقْ لهم أنْ عانَوا من أحداثٍ غريبةٍ أكثر من أيِّ عائلةٍ أخرى يعرفونها، وألمْ ينقلبْ كلُّ شيءٍ في النِّهاية إلى الأفضلِ دائمًا؟

«ماي الصَّغيرة معتادةٌ على الاهتمامِ بنفسِها،» قالتْ بنت الميمبل. أنا أكثرُ قلقًا على الأشخاصِ الذين قد يصدفُ أن تلتقيهم في طريقِها.»

نظرت ماما مومين من مرقدِها إلى الخارج. كانت السَّماءُ تُمطرُ.

«عساهم لا يُصابون بالزُّكام،» فكَّرت وبحذرٍ اعتدلَتْ في السَّريرِ. كان من الضَّروريِّ التَّحركُ بعنايةٍ، لأنَّهم منذ أن حطَّت بهم الدَّارُ قرب اليابسةِ ما انفكَّت أرضيَّةُ المسرح تميل بقوَّةٍ كبيرةٍ، بحيث رأى بابا مومين أنَّه يستحسن تثبيتُ الأثاثِ بالمساميرِ. كانت وجباتُ الطَّعامِ مهمَّةً مزعجةً لأنَّ الصُّحونَ استمرَّت في الانزلاق عنِ الطَّاولةِ، ودائمًا تقريبًا تتصدَّعُ إذا حاولَ المرءُ تثبيتَها بالمساميرِ. شعرتْ عائلةُ المومين معظمَ الوقتِ أنَّها مثل متسلِّقي الجبالِ. إذ اضطرُوا بشكلٍ مستمرٍّ إلى المشيِ وهم يرفعون ساقًا واحدةً أكثرَ من الأخرى، وبدأ بابا مومين يقلقُ خشيةَ أنْ تصبحَ السِّيقان غير متساوية. بيد أنَّ هومبر خرج برأيٍ مفادُه أنَّ كلَّ شيءٍ سيعود متساويًا إذا راعَوا المشي في كِلَا الاتِّجاهين.

وكالمعتاد كانت إيما تكنسُ الأرضيَّةَ.

تحرَّكت بجهدٍ على الأرضيَّةِ وهي تدفعُ المكنسَةَ أمامها. وكلَّمَا بلغت منتصفَ المسافَةِ تدحرجَتِ الأتربَةُ إلى الوراءِ، وكان لزامًا عليها أن تبدأَ من جديدٍ.

«أليس من العَمليِّ أن تكنسِي من النَّاحيةِ المعاكسةِ؟» اقترحت ماما مومين محاولةً إسداءَ النَّصيحةِ لها.

«لا أحد سيعلِّمني كيفَ أكنسُ الأرضيَّات،» ردَّت إيما. «كنستُ الأرضيَّة في هذا الاتجاه منذ أن تزوَّجت السَّيد فيليجونك، وسأستمرُّ في فعل هذا إلى أنْ أموتَ.»

«وأين السَّيد فيليجونك؟» سألَتها ماما مومين.

«إنّه ميتٌ،» أجابت إيما بكبرياء. «السِّتارةُ الحديديَّةُ سقطت على رأسِه في أحدِ الأيام، وتصدَّعا كلاهما؛ رأسُه والسِّتارةُ.»

«أوه، مسكينة، مسكينة يا إيما!» صاحَتْ ماما مومين.

أخرجَتْ إيما من جيبِ ثوبها صورةً علاها الاصفرارُ.

«هذا هو السَّيدُ فيليجونك في شبابِه،» قالت.

تأمَّلت ماما مومين الصُّورةَ. كان السَّيدُ فيليجونك، مدير المسرحِ، جالسًا أمامَ خلفيَّةِ منظرِ أشجارِ نخيلٍ. لديه شاربٌ رائعٌ. وإلى جانبه وقفت شابَّةٌ ذات

مظهرٍ مهمومٍ وعلى رأسها قبَّعةٌ صغيرةٌ.

«يا له من رجلٍ محترمٍ أنيقٍ،» علّقت ماما مومين. «سبق أنْ رأيتُ تلك اللوحةَ التي وراءَه.»

«إنَّها خلفيَّةٌ لكليوباترا،» وضَّحت إيما ببرودٍ.

«اسمُ الشَّابة كليوباترا؟» استفسرت ماما مومين.

قبضت إيما على جبينها بيدها الحُرَّة. «كليوباترا هو عنوانُ المسرحيَّةِ،» قالت بسخريةٍ. «والشَّابةُ التي إلى جانب السَّيد فيليجونك هي ابنةُ أخيه. ولا بنت أخٍ أسوأُ منها! لا تكفُّ عن إرسال دعواتٍ للاحتفالِ بأمسيةِ منتصفِ الصَّيفِ سنويًا، وأنا حذرةٌ جدًّا في الامتناعِ عن الرَّدِ. إنَّها لا تريد سوى الدّخول إلى المسرحِ، أنا واثقةٌ من هذا.»

«ولماذا لا تستقبلينَها؟» سألتها ماما مومين بنبرةٍ عتابٍ.

وضعت إيما مكنستَها جانبًا.

«لقد نلْتُ كفايتي،» أعلنت. «أنتِ لا تعرفين شيئًا عنِ المسرحِ، ولا أيَّ شيءٍ مطلقًا. بل حتَّى ولا أقلَّ من لا شيءٍ. وهذا هو واقعُ الأمرِ.»

«لكن ليتَ إيما تتلطَّفُ وتوضح لي ولو النُّذر اليسير،» استعطَفَتْها ماما مومين بحياءٍ.

تردَّدت إيما ثمَّ حسمَتْ أمرها وقرَّرتِ التَّصرُّفَ بلطفٍ.

جلسَتْ على طرف سريرِ ماما مومين وبدأَتْ: «المسرحُ، ليسَ غرفةَ جلوسٍ، وليس بيتًا على طَوْفٍ. المسرحُ هو أهمُّ دارٍ في العالَم، لأنَّ فيه يُعرضُ على النَّاس ما يمكن أن يكونوا إذا أرادُوا، وما يحبُّون أن يكونوا عليه إذا تحلَّوا بالجرأةِ، وما هم عليه حقًّا.»

«يعني إصلاحيَّة،» هتفَتْ ماما مومين بدهشةٍ.

بصبرٍ هزَّت إيما رأسَها نفيًا. أخذت قصاصةَ ورقٍ، ثمَّ بيدٍ مرتعشةٍ رسمت صورةَ مسرحٍ لماما مومين. وشرحت لها عن كلِّ تفصيلٍ في الرَّسمةِ، وكتبتِ التَّفسير على الورقةِ حتَّى لا تنسى ماما مومين شيئًا.

بينما قعدَتْ إيما ترسم تجمَّع الآخرون حواليها.

«سأخبركِ عن اليوم الذي عرضنا فيه مسرحيَّةَ كليوباترا،» كانت إيما تقولُ. «المسرحُ عامرٌ (سأشرحُ هذا لاحقًا)، والجمهورُ في غايةِ الهدوءِ لأنَّها ليلةُ العرضِ الأولى. كنتُ قد أضأْتُ صفوفَ الأضواء في المسرح وأضواءَ الأرضيَّةِ (لعلَّ هذا واضح)، ومع المغيبِ كالمعتاد، وقبل رفعِ السِّتارةِ بلحظةٍ قرعْتُ الأرضيَّةَ ثلاثَ مرَّاتٍ بعصًا مكنستي... هكذَا!»

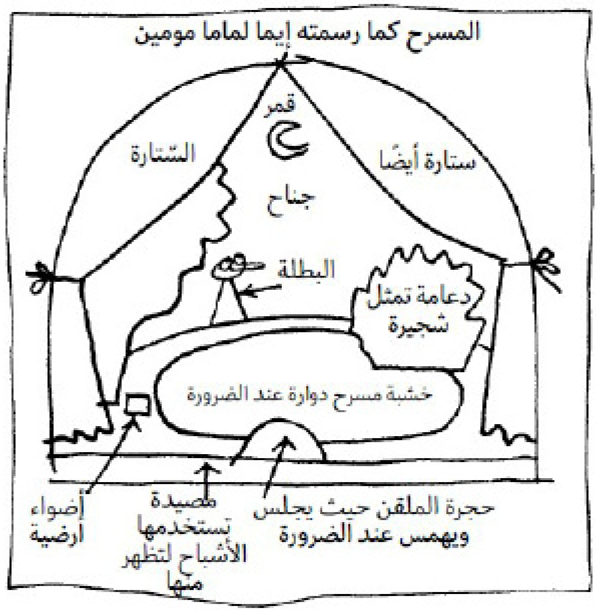

«لماذَا؟» سألَتْها بنتُ الميمبل.

«لخلقِ التَّأثيرِ،» أجابت إيما وعيناها الصَّغيرتان تلمعان. «القدرُ يقرَعُ، ألا ترون. حسنًا، ثم ترتفعُ السِّتارة. وهناك بقعةٌ حمراءُ على كليوباترا...»

«هي لم تكن مريضةً، أليس كذلك؟» استفسَرت ماما مومين.

«هذا يعني ضوءٌ أحمرُ، ضوءٌ من مصباحٍ،» أجابت إيما وهي تتماسكُ بصعوبةٍ كبيرةٍ. «وجميعُ النَّاس في الدَّارِ يحبسونَ أنفاسَهم...»

«أكان السَّيدُ ممتلكاتو هناك؟» سألها هومبر.

«ما تسمُّونه ممتلكاتو ليس شخصًا، كما يبدو أنَّكم تعتقدون،» وضَّحت إيما بهدوءٍ. «إنَّها ممتلكات، هي كلّ الأشياء التي يحتاجُها المرءُ للتمثيل... حسنًا، كانت بطلةُ المسرحيَّةِ رائعةً حقًّا؛ سيِّدةً جميلةً ذات شعرٍ أسودَ...»

«البطلةُ؟» قاطعتها ميزابيل.

«نعم، هي الأهمُّ من بين جميع الممثّلات. يُسندُ إليها ألطفُ دورٍ وتحصلُ على ما تريدُه. لكن، ربّاه، حسبيَ اللّهُ منها.»

«أريدُ أنْ أكونَ بطلةَ مسرحيَّةٍ،» قالت ميزابيل. «لكنَّني أريدُ دورًا حزينًا. مع كثيرٍ من الصِّياحِ والبكاءِ ثم المزيد من البكاءِ.»

«هذا يكونُ في مأساةٍ؛ دراما عاطفيَّةٌ حقيقيَّةٌ،» قالت إيما. «وعليكِ أنْ تموتِي في الفصلِ الأخيرِ.»

«نعم،» صاحَتْ ميزابيل بوجنَتين متوهِّجَتين. «أوه، مجرَّدُ أن أكونَ شخصًا آخرَ مختلفًا! لا أحد سيقولُ: انظرُوا تلك هي ميزابيل المعهودة. بل سيقولُون انظرُوا إلى تلك السَّيِّدةِ الشَّاحبةِ بالمخملِ الأحمرِ... إنَّها كما تعلمون الممثِّلةُ العظيمةُ... لا ريبَ في أنَّها عانت كثيرًا.»

«هل ستمثِّلين لنا؟» سألَها هومبر.

«أنا؟ أمثِّل؟ لكم؟» همسَتْ ميزابيل والدُّموعُ تترقرق في عينيها.

«أنا أيضًا أريدُ أن أكونَ بطلةَ مسرحيَّةٍ،» أعلنت بنت الميمبل.

«وما المسرحيةُ التي تنوون أداءَها؟» استفسرت إيما بنبرة شكٍّ.

نظرَت ماما مومين إلى بابا مومين. «يبدو لي أنَّك تستطيعُ كتابةَ مسرحيَّةٍ إذا ساعدَتكَ إيما،» قالت. «لقد دأبْتَ على كتابةِ مذكَّراتِك، ولن يصعبَ عليك كثيرًا أن تؤلِّفَ بعض القوافِي.»

«يا ربِّي، لا يمكنني أنْ أؤلِّفَ مسرحيَّةً،» ردَّ بابا مومين بوجهٍ احمرَّ خجلًا.

«بل طبعًا يمكنكَ يا عزيزي،» شجَّعته ماما مومين. «وبعدئذٍ نحفظُها كلُّنا عن ظهرِ غيبٍ، ويأتي النَّاس ليتفرَّجوا علينا عندما نؤدِّيها. الكثيرُ من النَّاسِ، والمزيدُ منهم ثم المزيد في كلِّ مرَّةٍ، ثمَّ يخبرون أصدقاءَهم عنها وكم هي جيِّدة، وفي النِّهاية يسمع مومين ترول عنها ويجدُ طريقَ العودَةِ إلينا ثانيةً. وهكذا يعودُ الجميع إلى البيتِ، ويصبحُ كلُّ شيءٍ بخيرٍ!» أنهَتْ ماما مومين كلامَها وصفَّقتْ.

تبادَلا نظرات شكٍّ ثم التفتَا إلى إيما.

مدَّت يديها وهزَّت كتفيها. «أتوقَّع أنَّها ستكونُ شنيعةً،» قالت. «لكن إذا كنتم حتمًا تريدون الحصولَ على توتِ العلَّيقِ، كما نقول في المسرحِ، طيِّب، يمكنني دائمًا أن أعطيكم بعضَ التَّعليماتِ للقيامِ بها بطريقةٍ صحيحةٍ. هذا عندما أجدُ الوقتَ.»

وبالتَّالي استرخَتْ إيما وبدأَتْ تسترسلُ في إخبارِهم المزيدَ عنِ المسرَحِ.

❀ ❀ ❀

أنهى بابا مومين مسرحيَّته في المساء، وبدأ في قراءتها للآخرين. لا أحد قاطَعه، وعندما انتهى من القراءةِ ساد صمتٌ مطبقٌ.

أخيرًا قالت إيما: «لا، لا،لا، ولا أيضًا!»

«أكانت سيئةً جدًّا إلى هذا الحدِّ؟» سألها بابا مومين بصوتٍ مُحبطٍ.

«بل أسوأ،» ردَّت إيما. «استمع إلى هذا:

لسْتُ خائفًا من أيِّ أسدٍ كان،

سواء هو متوحِّش أو جبان.

هذا مروِّعٌ.»

«أريد أسدًا في المسرحيَّة، بأيِّ ثمن،» أعلن بابا مومين بحزمٍ.

«لكن يجب أن تعيدَ صياغتَها، بمقاطعَ مسترسلةٍ! مقاطع مسترسلة! القوافي لا تنفع!» قالت إيما.

«ماذا تعنين بقولك مقاطعَ مسترسلة؟» سألها بابا مومين.

«يجبُ أن تكون هكذا: تي دم - تي أمتي يم - تي دومتي يم تيام،» شرحت إيما. «وأنت يجبُ ألَّا تعبِّر عن نفسك بأسلوبٍ طبيعيٍّ جدًّا.»

انكشفَ غمُّ بابا مومين فورًا. «تعنين أن أقولَ أنا لا أرتعدُ أمام ملك الصَّحراء، سواء هو متوحشٌ أو هو ليس متوحشًا كثيرًا؟» سألَها.

«هذا أقربُ إلى المطلوبِ،» قالت إيما. «اذهبِ الآن وأعِد كتابتها بمقاطعَ مسترسلةٍ. وتذكَّر أنَّه في كلِّ المآسي القديمة العظيمة يكونُ معظمُ الأبطال ممَّن تربطهم صلةُ قربى.»

«لكن كيف يُعادي أحدُهم الآخر ما داموا من عائلةٍ واحدةٍ؟» استعلَمت ماما مومين بصوتٍ حذرٍ. «ثمَّ، أليس في المسرحيَّةِ أيُّ أميرةٍ؟ ألَا يمكنكَ أن تختتمَها بنهايةٍ سعيدةٍ؟ محزنٌ جدًّا عندما يموتُ النَّاسُ.»

«هذه مأساةٌ يا حبيبتي،» قال بابا مومين.

«ولذلك على أحدٍ ما أن يموتَ في النِّهاية. بل يُفضَّلُ أن يموتَ الجميعُ إلَّا شخصًا واحدًا، وربَّما هو أيضًا. كما بيَّنت إيما.»

«أنا أصرُّ على أن أموتَ في النِّهاية،» قالت ميزابيل.

«وأنا، أيمكن أن أكونَ مَن يقضي عليها؟» تساءلَتْ بنت الميمبل.

«ظننتُ أنَّ بابا مومين سيكتب مسرحيَّةً غامضةً،» همهَمَ هومبر بخيبَةِ أملٍ. «عن أحداثٍ غريبةٍ، مع كثيرٍ من المُشتبه فيهم وأدلَّةٍ شريرةٍ.»

نهضَ بابا مومين بعصبيةٍ وجمعَ أوراقَه. «إذا كنتم لا تحبُّون مسرحيَّتي عليكم إذًا بكلِّ الوسائلِ أنْ تكتبوا أفضلَ منها بأنفسكم،» قال محتجًّا.

«يا عزيزي،» بدأت ماما مومين، «نحنُ نعتقد أنَّها رائِعةٌ، أليس كذلك؟»

«طـــــبـــــعًا،» وافقَ الجميعُ.

«ها أنت تسمعُ،» أردفت ماما مومين. «كلُّهم يحبُّونها. ما عليك إلَّا أنْ تغيِّرَ الأسلوبَ والحبكةَ قليلًا. وسأعملُ على ألَّا يزعجَك أحدٌ، ويمكنكَ أن تأخذَ معك وعاءَ الحلوى بأكملِه.»

«لا بأسَ إذًا،» استسلمَ بابا مومين. «لكن لا بدَّ من وجودِ أسدٍ في المسرحيَّةِ.»

«طبعًا لا بدَّ من وجودِ أسدٍ هناك يا عزيزي،» لاطفَتْهُ ماما مومين.

انهمَكَ بابا مومين يكتبُ بجدِّيَّةٍ. لا أحد تكلَّمَ أو تحرَّكَ. وحالما أكملَ ورقةً واحدةً قرأَها بصوتٍ عالٍ لهم وسط تصفيقٍ شاملٍ. أعادت ماما مومين ملءَ الوعاءِ بالحلوى على فتراتٍ منتظمةٍ. وشعرَ الجميعُ بالإثارة والتَّوقعِ.

كان النَّومُ أصعَب من أن يعثرَ أيٌّ واحدٍ فيهم عليهِ في ذلك المساء.

وإيما شعرَتْ أنَّ ساقَيها الخَاملَتين قد عادتا إلى الحياة. ولم تستطَعِ التَّفكيرَ في شيءٍ سوى تجربةِ الأداءِ النِّهائيِّ قبلَ العرضِ.

9

عنْ أبٍ غيرِ سعيدٍ

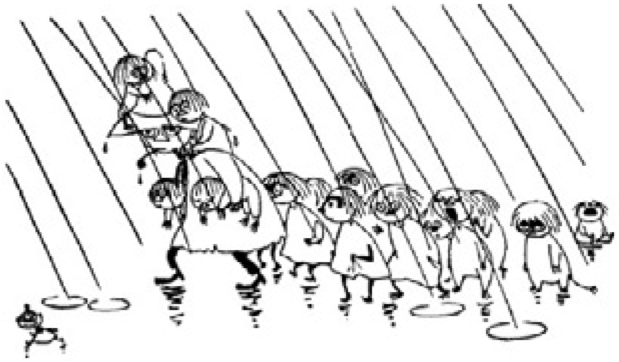

صباحَ ذلك اليوم الذي كتبَ فيه بابا مومين مسرحيَّتَه، والذي سُجن فيه مومين ترول، أيقظَتْ قطراتُ المطر المتسرِّبةِ من سقف كوخ أغصانِ التَّنوب سنفكين. تحرَّى بعينيه الغابةَ النَّديَّةَ بحذرٍ بالغٍ، لأنَّه لم يشأْ أنْ يوقظَ أطفالَ الغابةِ الأربعَ وعشرين.

أجال نظرَه على سجادةٍ من الزُّهور البيضاءِ التي لمعت كالنُّجوم وسط السَّراخسِ الخضراءِ المتألِّقةِ. تمنَّى بمرارةٍ لو أنَّها كانت رؤوسَ ملفوفٍ بدلًا من ذلك.

«أفترِضُ أنَّ هذا ما يفكِّر فيه الآباء،» قال لنفسِه. «ماذا سأطعمُهم اليوم؟ لا تحتاجُ ماي الصَّغيرة إلى الكثيرِ من الفاصولياء، لكن هؤلاء الصِّغار سيقضون على زادي في غمضةِ عينٍ.»

استدار وتأمَّل أطفالَ الغابة النَّائمين على العشبِ.

«والآن أتوقَّعُ أن يصابوا بالزُّكام من المطر،» غمغم بكآبةٍ لنفسِه. «وهذا ليس الأسوأَ. أنا ببساطةٍ لا أستطيع اختراعَ أيَّ شيء جديد لأسلِّيهم. هم لا يدخِّنون. وقصصي تُخيفهم. ولا يمكنني أن أقفَ على رأسي طوال اليوم، لأنَّني حينها لن أصلَ إلى وادي المومين إلَّا بعد انتهاءِ الصَّيف. ستكونُ نعمةً عظيمةً عندما أسلِّمهم لماما مومين كي تعتنيَ بهم!»

«مومين ترول الطَّيب،» فكَّر سنفكين بتفانٍ مفاجئٍ. «سنذهبُ إلى السِّباحة تحت ضوءِ القمر معًا، ونجلسُ وندردشُ في الكهف بعد ذلك...»

في تلك اللحظةِ أبصرَ أحدُ أطفالِ الغابةِ حلمًا سيئًا وبدأ يبكِي. استيقظَ الآخرونَ كلُّهم، وبكَوا هم أيضًا، دعمًا له.

«إيه، إيه، إيه،» هدَّأهُم سنفكين، «هوبيتي هوبيتي هوب! تويدل ديدل دويدل دي!» وما رطن بهِ لم يأتِ بأيِّ تأثيرٍ.

«لم يرَوا أنَّك كنتَ مضحكًا،» أعلنَت ماي الصَّغيرة. «عليكَ أن تفعلَ كما تفعلُ أختي. أخبِرْهُم أنَّهم إذا لم يسكُتوا ستبرِحُهم ضربًا. وبعد ذلك تطلبُ منهم مسامحَتك وتعطيهم حلوى.»

«وهل يساعدُ هذا؟» سألَها سنفكين.

«لا،» أجابت ماي الصَّغيرة.

رفع سنفكين كوخَ أغصانِ التَّنوب عنِ الأرضِ وقذفَه نحو الأشجار.

«هذا ما نفعلُه بأيِّ مأوى بعد أن ننامَ فيهِ،» قالَ.

سكت أطفال الغابةِ حالًا، وجعَّدوا أنوفَهم من رذاذ المطر.

«إنَّها تمطرُ،» قال أحد أطفالِ الغابةِ.

«أنا جائعٌ،» قالَ آخرُ.

نظرَ سنفكين بقلَّةِ حيلةٍ إلى ماي الصَّغيرة.

«هدِّدهُم بالغروك!» اقترحَتْ. «هذا ما درجَتْ أختي على فعلِه.»

«هل يجعلك ذلك بنتًا مطيعةً؟» سألها سنفكين.

«لا، طبعًا!» زقزقَت ماي الصَّغيرة وضحكَتْ إلى درجةِ أنَّها انقلبَتْ على وجهِها.

تنهَّد سنفكين. «هيَّا تعالَوا، تعالَوا،» قالَ. «انهضُوا انهضُوا! أسرِعُوا وسأريكم شيئًا!»

«ماذا؟» سأله أطفالُ الغابةِ.

«شيءٌ ما...» قال سنفكين ولوَّح بيديه.

✽ ✽ ✽

مشَوا ومشَوا.

والدُّنيا أمطرَت وأمطرَت.

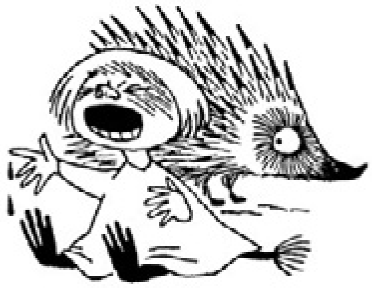

عطسَ أطفالُ الغابةِ، وفقدُوا أحذيَتهم وسألُوا لماذا لا يمكنُهم الحصولُ على بعض الخبزِ والزُّبدةِ. بدأ بعضُهم يتعاركُ، وأحدُهم حشرَ أنفَه بإبرِ التَّنوب، وآخرُ وخزَه قنفذٌ.

كاد الشُّعور بالأسفِ على سجَّانةِ الحديقةِ يجتاح سنفكين. وسَرعان ما أصبح يحمل أحدَ الأطفال على قُبَّعته، واثنين على كتفَيه، واثنين آخرين تحت ذراعَيه. غارقًا بالماء وغيرَ سعيدٍ مطلقًا مضَى متعثِّرًا يجتازُ أجماتِ العنَّابِ.

في تلك اللحظة، تلك اللحظة المُغرقة في السَّوداويَّةِ وصلُوا إلى فسحةٍ. وفي وسطِهَا بيتٌ صغيرٌ تتناثرُ الأكاليل الذَّابلة حول ماسورةِ مدخنَتِه ودعاماتِ البوابة. ترنَّح سنفكين إلى الباب على ساقين مرتعشتَين. قرعَ البابَ وانتظرَ.

لا أحد فتحَ.

قرعَ مرَّةً أخرى. ولم يحدثْ شيءٌ. عندئذٍ دفعَ الباب ودخلَ.

لا أحد كان في البيت. الزُّهورُ على الطَّاولة ذابلةٌ، والسَّاعة متوقِّفةٌ. وضع أطفال الغابة أرضًا ويمَّم الموقدَ البارد. اكتشفَ أنَّه كان يحتوي على فطيرةٍ

في فترةٍ ما. ذهبَ يتفقَّدُ مخزنَ المؤنِ. ولاحقَته عيونُ أطفال الغابةِ بصمتٍ.

تبِعت هذا لحظةٌ من التَّرقبِ. ثمَّ عاد سنفكين يحملُ برميلًا كاملًا منَ الفاصولياءِ ووضعَه على الطَّاولة. «يمكنكم الآن أن تحشُوا بطونكم بالطُّول والعرضِ بالفاصولياء،» قال. لأنَّنا سنمكثُ هنا فترةً قصيرةً، ونهدأُ إلى أن أحفظَ أسماءَكم. هيَّا ليشعلْ لي أحدكُم غليوني!»

تهافَت أطفالُ الغابةِ جميعُهم ليشعلُوا له الغليون.

بعدَ وقتٍ قصيرٍ تأجَّجتْ نارٌ جيِّدةٌ في الموقدِ، وعُلِّقتِ الفساتينُ والتَّنانيرُ والبنطلونات كلُّها لتجفَّ. وعلى الطَّاولة وقفَ وعاء كبيرٌ من الفاصولياء المسلوقَةِ، أمَّا في الخارج فكان المطرُ ينهمرُ من سماءٍ رماديَّةٍ.

استمَعوا إلى المطر يقرعُ السَّقفَ، والحطبُ يقعقعُ في الموقدِ.

«حسنًا، ماذا عن هذا، ها؟» سألَهم سنفكين. «مَن يريد العودةَ إلى صندوق الرَّملِ؟»

نظر أطفال الغابة إليه وضحكُوا. ثم اندفعُوا يلتهمون الفاصولياء البُنيَّةَ التي تخصُّ الفيليجونكة.

لكن الفيليجونكة، كما نعلم، كانت غافلةً تمامًا عن وجودِ زوَّارٍ في بيتها، لأنَّها في تلك الآونة كانت تقبعُ في السِّجن بسبب سلوكٍ مخالفٍ للنظامِ.

10

عن تجربةِ الأداءِ الأخيرةِ

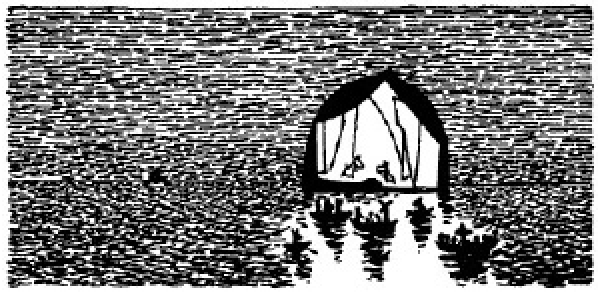

جاءَ يومُ تجربةِ الأداءِ الأخيرةِ قبل عرضِ مسرحيةِ بابا مومين، ومن أجلِ ذلك أُضيئَتْ صفوفُ الأضواءِ كلّها على الرَّغمِ من أنَّهم ما زالُوا في فترةِ العصرِ.

وُعِدَتِ القنادِسُ بالحصولِ على تذاكرَ مجانيَّةٍ في ليلَةِ العرضِ الأولَى، إذا دفعتِ المسرحَ إِلَى الوراءِ على عارضةٍ مستويةٍ. وبالفعلِ أصبحَتِ الدَّارُ متوازنَةٌ تقريبًا، لكنَّ خشبةَ المسرحِ بقيت مائلةً نوعًا ما وهذا جعلَ التَّمثيلَ مربِكًا بعضَ الشَّيءِ.

كانتِ السِّتارةُ مُسدلَةً، حمراءَ وموحية بالغموض. وفي الخارج، في الماء تجمَّعَ أسطولٌ صغيرٌ من المراكبِ التي راحت تتذبذب بفضولٍ. كانت تنتظرُ منذُ شروقِ الشَّمسِ. والمخلوقاتُ التي على متنها أحضرَتْ معَها وجباتِ طعامِها في أكياسٍ ورقيَّةٍ، لأنَّ تجربةَ الأداءِ الأخيرةِ تستغرقُ دائمًا وقتًا طويلًا.

«ماما، ما معنى تجربةُ الأداءِ الأخيرةِ؟» سألَ قنفذٌ صغيرٌ فقيرٌ في أحدِ القواربِ.

«إنَّها التدّربُ على المسرحيَّةِ لآخر مرَّة حتى يتأكَّدَ الممثلون من أنَّ كلَّ شيء على ما يرام،» فسَّرت أمُّ القنفذِ. «غدًا يمثِّلون بمهارةٍ كبيرةٍ، وحينها على المرءِ أن يدفعَ المالَ ليشاهدَهم. اليومُ المشاهدةُ مجانيَّةٌ للقنافذَ الفقيرةَ مثلَنا.»

لكنَّ الذين وراءَ السِّتارةِ لمْ يكونوا واثقين مطلقًا من أنَّ كلَّ شيءٍ على ما يرام. كان بابا مومين يعيدُ تنقيحَ مسرحيَّته. وميزابيل تبكِي.

«ألم نخبركَ أنَّنا معًا نريدُ أن نموتَ في النِّهاية!» هتفَت بنت الميمبل. «لماذا هي فقط يجب أن يلتهمَها الأسد؟ نحن عروستَا الأسد، قلنا لكَ هذا. ألا تتذكَّر؟»

«حاضِر، حاضِر،» ردَّ بابا مومين بعصبيَّةٍ. «سيلتهمُك الأسد أولًا، ثمَّ يلتهمُ ميزابيل. لا تزعجيني، أنا أحاولُ التَّفكيرَ في مقاطعَ مسترسلةٍ.»

«هل صوَّبْتَ المسائلَ العائليَّة الآن يا عزيزي؟» استفهمت ماما مومين بقلقٍ. «أمس كانت بنت الميمبل زوجةُ ابنِك الهارب. أهي ميزابيل المتزوِّجة منه الآن، وأنا أمُّها؟ وهل بنت الميمبل عزباء؟»

«أنا لا أريد أن أكونَ عزباء،» اعترضت بنت الميمبل فورًا.

«يمكن أن تكونَا أختين،» صاح بابا مومين بصوتٍ يائسٍ. «بنت الميمبل هي كَنَّتك. أعني كَنَّتي. أي عمَّتكِ.»

«أشكُّ في صحَّةِ هذا،» أشارَ هومبر. «إذا كانت ماما مومين زوجتكَ فمن المستحيل أن تكونَ كَنَّتُها عمَّتَنا.»

«كلُّ هذا سيَّان بالنِّسبة لي،» صاح بابا مومين. «لن تكونَ هناك أيّ مسرحيَّةٍ نعرضُها في جميع الأحوالِ!»

«على رسلكَ الآنَ، على رسلكَ،» تدخَّلت إيما بتفهُّمٍ غير متوقَّعٍ. «ستجري الأمورُ كما ينبغي. والجمهورُ في جميع الأحوال لن يفهمَ كلمةً.»

«عزيزتي إيما،» قاطَعتها ماما مومين. «هذا الثَّوبُ ضيِّقٌ جدًّا عليَّ... إنَّه لا ينفكُّ ينزلقُ من الخلفِ.»

«عليكِ أنْ تتذكَّري،» نبَّهتها إيما والدَّبابيسُ في فمِها، «يجبُ ألَّا تبدو عليك السَّعادة عندما تظهرين على خشبةِ المسرحِ وتخبرينه أنَّ ابنَه قد روى له حفنةً من الأكاذيبِ!»

«لا، لن أفعلَ أعدكِ،» قالَتْ ماما مومين.

عكفت ميزابيل على قراءةِ دورِهَا. فجأةً ألقَتِ الورقةَ بعيدًا وصاحَتْ: «هذا دورٌ مرحٌ! إنَّهُ لا يناسبني أبدًا!»

«صَه ميزابيل،» أسكتتها إيما بحزمٍ. «نبدأُ الآن. هل الأضواءُ الكاشفةُ جاهزةٌ؟»

سلَّط هومبر المصباحَ الأصفرَ.

«أحمر! أحمر!» زعقَتْ بنت الميمبل. «دخولي يتميَّزُ بالضَّوءِ الأحمرِ! لماذا لا يكفُّ عن تسليط الضَّوء الخطأ دائمًا؟»

«كلُّها تنفع،» قالت إيما بهدوءٍ. «أنتم مستعدُّون؟»

«لا أستطيع تذكُّر سطوري،» غمغمَ بابا مومين الذي اجتاحته نوبةُ رعبٍ. «ولا كلمة!»

ربَّتت إيما كتفَه. «هذا كما يجبُ أن يحدثَ،» طمأنتهُ. «كلُّ شيء هو بالضَّبط كما يجبُ أن يحدثَ في تجربةِ الأداءِ الأخيرةِ.»

قرعَتِ الأرضيَّةَ ثلاثَ مرَّات بعصًا مكنستِها، وخيَّمَ الصَّمت على القواربِ في الخارج. وبرعشةِ سعادةٍ تسري في جسمِها المُنهَكِ قبضت على ذراعِ السِّتارة لترفعَها.

سُمعَتْ من الجمهورِ المتناثرِ همساتٌ معبِّرةٌ عن الإعجابِ. لم تكن معظمُ القنافذِ قد ارتادَتِ المسرحَ من قبل. شاهدَ الجمهور منظرًا طبيعيًا من صخورٍ برِّيَّةٍ في ضوءٍ أحمرَ.

إلى يمينِ خزانةِ المرآة (ملفوفةٌ بقماشٍ أسودَ)، جلست بنت الميمبل وقد لبست تنورةً حريريَّةً، وعلى عقدةِ شعرِها أكليلٌ من أزهارٍ ورقيَّةٍ. تفحَّصتِ

الجمهورَ باهتمامٍ عظيمٍ بعض الوقت ثم تكلَّمت، بسرعةٍ وبلا تكلُّفٍ: إذا كان يجبُ أن أموتَ الليلةَ، في عزِّ شبابي،

بينما طُهري يبكي للسَّماء العالية،

فليتحوَّل البحرُ إلى دمٍ جنونيٍّ

وإلى غبارٍ فلتتناثر حيويَّةُ الرَّبيع!

برعمًا، ما زلتُ أتورَّدُ في نومي الطُّفولي

والمصير الصَّارمُ يبدِّدني في الأرض!

ومن خلف المسرح تصاعَد ترنيمٌ مجلجلٌ. كان ذاك صوتُ إيما: أوه يا ليل، أوه يا ليل، أوه يا ليل، أوه يا ليل المصير!

عندئذٍ ظهرَ بابا مومين من اليسار، وقد لفَّ بطريقةٍ مهملةٍ عباءةً على كتفِه، التفَتْ إلى الجمهورِ وألقى بصوتٍ مرتعشٍ: روابطُ العائلةِ والصَّداقةِ يجبُ أنْ

يكسرَها واجبُ السُّلطة البائسِ.

واحسرتاه، أيُرفعُ حينها تاجي

على يد أختِ ابن أخ بنتِي؟

لكن بابا مومين شعر أنَّ الكلماتَ غيرُ صائبةٍ، فاستأنفَ قائلًا: واحسرتاه أيرفعُ حينها تاجي

على يد كَتَّةِ ابنِ بنتي؟

أخرجت ماما مومين رأسَها من الجانبِ وهمسَتْ: «على يد أخت ابن أخت بنتي!»

«أعرف، أعرف،» قال بابا مومين. «سأتجاوز هذا المقطع حاليًا.»

تقدَّم خطوةً من بنت الميمبل التي اختبأَتْ وراءَ الخزانَةِ وتابعَ: ارتعدِي إذًا يا ميمبل الخائِنة، ارتعدِي الآن

واستمعي إلى زئيرِ الأسَدِ المتوحِّشِ في سجنِه

بجوعٍ شديدٍ يخبطُ قفصَه

ويزمجرُ على القمر!

تبع ذلك صمتٌ طويلٌ.

«يزمجرُ على القمرِ!» كرَّر بابا مومين بصوتٍ أعلى.

لم يحدثْ شيءٌ.

التفتَ إلى اليسار وسأل: «لماذا لا يزمجرُ الأسدُ؟»

«لا يُفترضُ أن أزمجِرَ إلَّا بعد أن يرفعَ هومبر القمر،» ردَّت إيما.

أطلَّ هومبر برأسِهِ. «وعدَت ميزابيل أن تصنعَ قمرًا ولم تفعلْ،» قال.

«طيِّب، لا بأس،» قال بابا مومين بعجالةٍ. «سنجرِّب الآن دور ميزابيل لأنَّني لست في مزاجٍ رائقٍ على أيّ حالٍ.»

ببطءٍ انسابَتْ ميزابيل نحو خشبةِ المسرحِ بفستانٍ من المخملِ الأحمرِ. لفترةٍ طويلةٍ وقفَت بلا حراكٍ وكفُّها على عينيها، تستكشفُ ماهيَّةَ شعور المرءِ وهو بطلُ مسرحيَّةٍ، وبدَا لها ذلك رائعًا.

«أواه يا أيَّتها السَّعادة،» حثَّتها ماما مومين التي ظنَّت أنَّ ميزابيل نسيت كلماتِها الافتتاحيَّة.

«أعرف، أنا فقط أبهرُهم!» هسهسَتْ ميزابيل. تمايلَتْ متَّجهةً نحو صفوفِ الأضواء ومدَّت ذراعيها للجمهور. سُمع صوتُ طقطقةٍ عندما بدأ هومبر يشغِّل

ماكينةَ الرِّيح من وراء خلفيَّةِ المسرحِ.

«ماما، أهذهِ مكنسةٌ كهربائيَّةٌ؟» سألَ أحدُ القنافذِ الأطفالِ.

«صه،» أسكتَتْه أمُّه.

بدأت ميزابيل تردِّدُ مناجاتِها العظيمةَ الأولى:

أواه يا للسعادةِ والفرحِ عندما أرى

رأسَكِ المقطوعَ بطلبٍ منِّي...

تقدَّمت بخطوةٍ سريعةٍ، فتعثَّرت بذيلِ الفستان المخمليِّ، ووقعت على صفوفِ الأضواءِ ومن بعد هذا مباشرةً سقطت في أقربِ مركبِ قنافذَ.

هلَّل المتفرِّجون وتعاونُوا مجتمعين على رفعِ ميزابيل إلى خشبةِ المسرحِ.

«خذِي بنصيحتِي يا آنسة،» قال قندسٌ في منتصفِ العمر، «يُستحسنُ أن تقطعِي رأسَها في الحال!»

«رأس مَن؟» سألته ميزابيل مبهوتةً.

«بنت أخت زوج ابنتكِ طبعًا،» ردَّ القندسُ مشجِّعًا.

«لقد أساؤُوا فهم كلِّ شيءٍ،» همس بابا مومين لماما مومين. «تعالي في الحال رجاءً.»

جمعت ماما مومين ذيولَ تنورتِها وظهرت على خشبة المسرح بابتسامةٍ ودودةٍ وخجولةٍ قليلًا.

دارِ وجهكَ الآن، فأنا أجلب لكَ أنباءً سوداءَ!

ما أخبركَ ابنكَ إلّا حفنةً من الأكاذيبِ!

قالت بسعادةٍ.

حدَّق بابا مومين فيها بعصبيَّةٍ.

«أين الأسد،» هتفَتْ محاولةً المساعدةَ.

«أين الأسد،» كرَّر بابا مومين. «أين الأسدُ،» قال بصوتٍ حائرٍ مرَّةً أخرى. أخيرًا صاح: «حسنًا أين هو؟»

سُمع من وراء خلفية المسرح خبطٌ عظيمٌ. ثمَّ دخل الأسدُ. كان يتألَّفُ من قندسٍ على قائمتيه الأماميتين، وقندسٌ آخر على قائمتيه الخلفيَّتين. هلّل الجمهورُ بابتهاجٍ.

تردَّدَ الأسدُ، ثم تقدَّم إلى صفوفِ الأضواء الأمامية وانحنى للجمهور، وبالتَّالي انقسم من منتصفِهِ.

صفَّقَ الجمهور ثم بدأتِ القواربُ تجدِّفُ مبتعدةً.

«لم تنتهِ المسرحيَّةُ بعد،» صاح بابا مومين.

«يا عزيزي سيعودون غدًا،» طمأنته ماما مومين. «وإيما تقول إنَّ ليلةَ العرضِ الأولى لا تنجح أبدًا إذا لم تكن تجربةُ الأداء الأخيرة بين بين.»

«نعم، هذا ما تقوله حقًّا،» أقرَّ بابا مومين بارتياحٍ. «حسنًا، هم عمومًا ضحكُوا عدَّةَ مرَّاتٍ!» أضافَ بسرورٍ.

أمَّا ميزابيل فولَّتِ الآخرين ظهرَها برهةً، لتهدِّئَ من نبضِ قلبِها المتسارعِ.

«صَفِّقوا لي!» همسَتْ لنفسِها. «أوه، يا لسَعادتي! سأشعرُ دائمًا، دائمًا بالسَّعادة بعدَ هذا!»

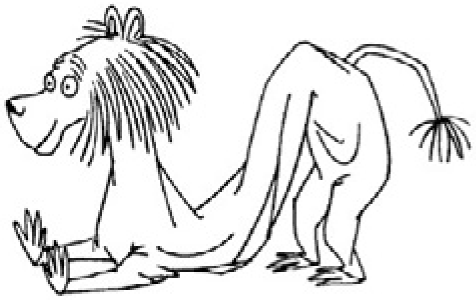

11

عن الاحتيالِ على السَّجَّانَين

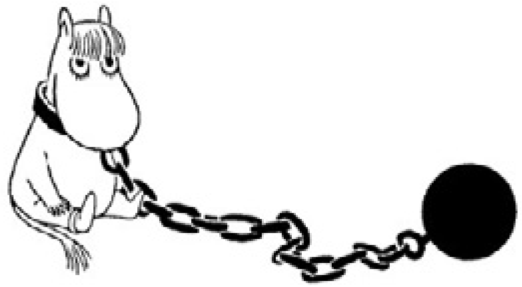

في الصَّباح التَّالي أُرسِلَت إعلاناتُ المسرحيَّةِ. حلَّقت مختلفُ أنواعِ الطُّيور في جميع أنحاءِ الخليجِ الصَّغير وأسقطتها. الإعلاناتُ (كتبَها ولوَّنها هومبر وبنت الميمبل) تطايرَت متناثرةً فوق الغابَةِ والشَّاطئ والمروجِ، وفي الماءِ، وعلى أسطحِ البيوتِ والحدائقِ.

سقطتْ واحدةٌ من تلك الإعلانات فوق السِّجن، ثمَّ حطَّت عند قدَمي الهيميولن الشُّرطي الذي كان جالسًا نصفَ نائمٍ تحت أشعة الشَّمس وقُبَّعة الشُّرطة على خطمِه.

التقطَها، والشُّعور بالتحفُّز يجتاحُه، إذ شكَّ في أنَّها رسالة سرِّيَّة للمساجين الذين قبضَ عليهم.

في هذه الآونة لم يكن لديه سوى ثلاثة سجناء، أكثر عددٍ حصلَ عليه منذ أن ترقَّى إلى رُتبة سجَّان. ومضَتْ تقريبًا سنتان منذ آخر مرَّة سجنَ فيها أيَّ مُدان، لذا من الطَّبيعي ألَّا يفوِّت الفرصة الآن.

عدَّل الهيميولن نظَّارته وقرأ الإعلان بصوتٍ عالٍ لنفسِه:

الليلةُ الأولى!!!

مسرحيَّةُ عروستَا الأسد أو إراقةُ الدَّم

مأساةٌ من فصل واحدٍ بقلمِ بابا مومين

بطولة:

بابا مومين، ماما مومين، بنت الميمبل، ميزابيل وهومبر.

الجوقة: إيما.

التَّذاكرُ مُقابلَ أيِّ شيءٍ صالحٍ للأكل.

تبدأ المأساةُ عند غروبِ الشَّمس إذا بقي الجوُّ جيدًّا، وتنتهي مع وقت النَّومِ المعتادِ. تُؤدَّى وسط خليجِ التَّنوب. المراكب تُستأجرُ من جماعة الهيميولن.

الإدارة

«مسرحيَّةٌ؟» همهم الهيميولن ممعنًا في التَّفكير ونزعَ نظَّارته ثانيةً. عميقًا في قلبه تحرَّكَت ذكرى باهتة غير هيميولِنية من طفولتِه. إذ حدثَ أنِ اصطحبَته عمَّتُه إلى المسرح مرَّةً. والمسرحيَّةُ كانت عن أميرةٍ نامت في شجيرة وردٍ. كانت مسرحيَّةً جميلةً جدًّا. والهيميولن أحبَّها تقريبًا.

فجأةً أدركَ أنَّه يريد ارتيادَ المسرحِ ثانية. لكن مَن سيحرسُ في غيابه السُّجناء؟

ما كان يعرفُ أيَّ هيميولن آخر يمكن أن يجدَ الوقت لذلك. أجهدَ السَّجانُ المسكينُ دماغَه الهيميولِني. ضغطَ أنفَه بقضبانِ السِّجن الذي يقوم في الظِّلِ

ّ قرب كرسيِّه، وقال: «أودُّ كثيرًا أن أذهبَ إلى المسرح الليلة.»

«المسرحُ؟» هتف مومين ترول ناصبًا أذنيه.

«نعم، عروستا الأسد،» وضَّح الهيميولن ودفع إعلانَ المسرحية من بين القضبانِ. «والآن لا أستطيع أنْ أتخيَّلَ من يمكنني أن أجلبَ ليراقبَكم في هذه الأثناء.»

قرأ مومين ترول والآنسة سنورك الإعلان وتبادلا النَّظرَ.

«يتهيَّأ لي أنَّها عن أميرةٍ ما أو أخرى،» قال الهيميولن بنبرةٍ حزينةٍ. «مرَّ دهرٌ منذ أنْ شاهدتُ أميراتٍ صغيراتٍ.»

«يجبُ أن تذهبَ طبعًا،» حثَّته الآنسة سنورك. «أحقًّا ليس هناك أحدٌ يمكن أن يراقَبنا في غيابِك؟»

«حسنًا، هناك بنت عمِّي،» أجابَ الهيميولن. «لكنَّها رقيقةُ القلب كثيرًا. وربَّما تطلق سراحَكم.»

«متى ستُقطعُ رؤوسَنا؟» باغتَته الفيليجونكة بالسُّؤالِ.

«أوه، يا ربِّي، لا أحد سيُقطَعُ رأسه،» ردَّ الهيميولن بصوتٍ محرجٍ كثيرًا. «عليكم أن تبقُوا حيث أنتم إلى أن تعترفُوا. ثم سيُحكم عليكُم بتخطيطِ يافطاتٍ جديدةٍ، وبعد ذلك يكتبُ كلٌّ واحدٍ منكم عبارةَ: ممنوعٌ منعًا باتًّا، خمسةَ آلافِ مرَّةٍ.»

«لكن نحن أبرياء،» تصدَّت له الفيليجونكة.

«نعم، صحيحٌ، سمعتُ هذا كلَّه من قَبل. جميع المُدانين يقولون ذلك،» أجابَ الهيميولن.

«اسمعْ،» واجهه مومين ترول. «ستندَم لبقيَّةِ حياتك إذا لم تذهبْ لتشاهدَ تلك المسرحيَّةَ. أنا واثق من أنَّ فيها أميراتٌ. عرائسُ الأسدِ!»

رفعَ الهيميولن كتفَيهِ وتنهَّدَ.

«لا تتصرَّف بحمقٍ الآن،» قالَتِ الآنسة سنورك بنبرَةٍ مشجِّعةٍ. «أحضِر لنا بنتَ عمِّكَ تلك. يبدو لي أنَّ سجَّانةً رقيقةَ القلبِ أفضلُ من لا أحد في جميعِ الأحوالِ!»

«ربَّما،» أجابَ الهيميولِن بمرارةٍ. ثمَّ نهضَ وحثَّ السَّير بين الأشجارِ.

«إليكما هذا،» قال مومين ترول. «أتتذكَّران حلمَ ليلةِ منتصفِ الصَّيف المُفترض؟ إنَّه عن الأسودِ! أسدٌ ضخمٌ عضَّت ساقَه ماي الصَّغيرة! لكنَّني أتساءلُ ماذا ينوون هناكَ في البيتِ!»

«أنا حلمتُ أنَّ لدي الكثيرَ من الأقرباءِ الجددِ،» قالت الفيليجونكة. «أليسَ ذلك مروِّعًا؟ الآن وقد تخلَّصتُ من الأقرباءِ القدامَى.»

عاد الهيميولن ترافقُه هيميولِنة صغيرةٌ ونحيلةٌ جدًّا وخجولةُ المُحيَّا.

«أتظنِّين أنَّكِ قادرةٌ على مراقبة هؤلاء من أجلِي؟» سألَها.

«أيعضُّون؟» همستِ الهيميولنة. بدا واضحًا تمامًا أنَّها مخيِّبةٌ للآمال (من وجهةِ نظرِ جماعةِ الهيميولِن). نخرَ الهيميولِن السَّجَّانُ وناولها المفتاحَ.

«هم حتمًا سيقضمون رأسَك، تشوك تشوك، إذا أطلقتِ سراحَهم. يلَّا سلامات، أنا ذاهبٌ لأتأنَّق من أجل عرضِ الليلةِ الأولى.»

حالما اختفَى جلستِ الهيميولنة الصَّغيرة، وبدأتْ تحيكُ الكروشيه. وما بين حينٍ وآخرَ تُلقي نظرةً على الزِّنزانة. بدَتْ خائفةً.

«ماذا تُحيكين؟» سألَتها الآنسة سنورك بلطفٍ.

جفلَتِ الهيميولنة الصَّغيرة. «لا أدري حقًّا،» همستْ بنبرةٍ قلقَةٍ. «أنا فقط أشعرُ بشيءٍ من الأمان عندما أحيك الكروشيه.»

«ألا يمكنكِ أن تصنعي منها خُفًّا، إنَّه لونٌ مناسبٌ كثيرًا للخفِّ،» اقترحَتِ الآنسة سنورك.

تفحَّصتِ الهيميولنة الصَّغيرةُ الكروشيه وفكَّرت لفترةٍ.

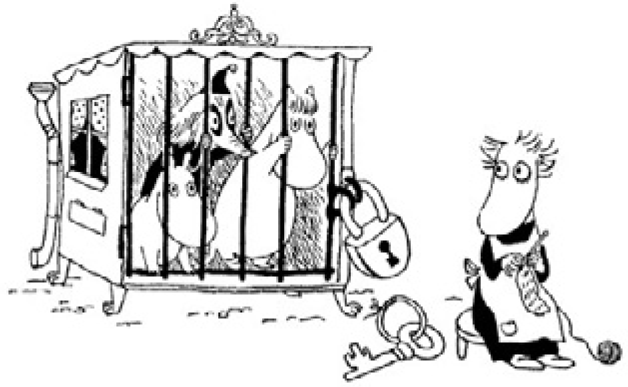

«ألا تعرفين أحدًا يعاني من قدمَين باردَتين؟» سألتَها الفيليجونكة.

«بلَى، لديَّ صديقةٌ،» أجابَتِ الهيميولنة الصَّغيرةُ.

«وأنا أيضًا أعرفُ واحدةً هكذا،» تابعَتِ الفيليجونكة بصوتٍ ودودٍ. «عمَّتي. هي تعمل في مسرحٍ. ويقولون إنَّ هناك تيَّارًا هوائيًّا رهيبًا. لا ريبَ في أنَّه مكانٌ غيرُ مريحٍ.»

«وهنا أيضًا تيَّارٌ هوائيٌّ قويٌّ،» قال مومين ترول.

«كان يجب أن يفكِّرَ ابنُ عمِّي في هذا،» قالت الهيميولِنة الصَّغيرةُ بحياءٍ. «إذا انتظرتُم قليلًا سأحيكُ لكمْ خِفافًا.»

«أظنُّ أنَّنا سنكونُ في عِدادِ الأمواتِ قبل أن تُنهِي الحياكةَ،» علَّق مومين ترول بصوتٍ مغمومٍ.

لاحَ على الهيميولنة الصَّغيرةِ قلقٌ كبيرٌ، واقتربت من الزَّنزانة. «ماذا لو وضعْتُ بطانيَّةً على القفصِ؟» اقترحَتِ.

هزَّ مومين ترول والآنسةُ سنورك أكتافهما وتكوَّما متلاصقين وهما يرتعشَانِ.

«أحقًّا تشعرون بمثل هذا التَّيارِ الهوائيِّ؟» سألتهم الهيميولنة الصَّغيرةُ باهتمامٍ.

ندَّت عن الآنسَةِ سنورك كحَّةٌ جوفاء. «لعلَّ قدحًا من الشَّاي مُحلّى بمربَّى العنَّاب ينقذني،» قالت. «أعني ربَّما.»

تردَّدت الهيميولِنة الصَّغيرةُ. وقفت تضغط أنفَها بالكروشيه وتحملقُ فيهم. «إذا مِتُّم...» تمتمَتْ بصوتٍ مرتجِفٍ. «إذا مِتُّم، حينها لن يسرَّ ابن عمِّي عندما يعودُ.»

«هذا محتملٌ،» قالتِ الفيليجونكة.

«أنا على أيِّ حال مضطرةٌ إلى أخذِ مقاسِ أقدامكم من أجل الخِفاف،» أعلنَتِ الهيميولِنة الصَّغيرةُ.

هزُّوا رؤوسَهم إيجابًا بطريقةٍ مقنعَةٍ.

بعدئذٍ فتحَتِ الهيميولنة الصَّغيرةُ باب الزِّنزانة وقالَتْ بحياءٍ: «لعلَّكم تمنحوني شرفَ قبولِكم قدحًا لطيفًا من الشَّاي السَّاخن؟ مُحلّى بمربى العنَّاب. وطبعًا تحصلون على الخِفاف حالما أحيكُها. لطيفٌ منكم أن تخترعوا فكرةَ الخِفاف هذه! إنَّها ستجعلُ حياكتي هادفةً كثيرًا، إذا فهمتُم ما أعنيه.»

سارُوا إلى بيت الهيميولِنة الصَّغيرةِ وشربوا الشَّاي. وأصرَّت على خَبز أنواعٍ متعدِّدةٍ من الكعكِ لهم، بحيث كان الوقت يشارفُ الغسقَ عندمَا نهضَتِ الآنسة سنورك وقالت: «أخشَى الآن أنَّ علينا المُضيَّ في سبيلنا. نشكركِ شكرًا جزيلًا على الحفلةِ الأنيسَةِ!»

«فظيعٌ جدًّا أن اضطرَّ إلى سجنِكم ثانية،» قالت الهيميولنة الصَّغيرةُ معتذرةً، وأنزلت مفتاح الزِّنزانة من مسمارِه.

«لكنَّنا لا ننوي العودةَ إلى هناك،» سارعَ مومين ترول إلى القول. «سنذهب إلى المسرحِ حيث نقيمُ.»

ترقرقَتِ الدُّموع في عيني الهيمیولنة الصَّغيرةِ. «هذا سيصيب ابنَ عمِّي بخيبةِ أملٍ فظيعةٍ، فظيعةٍ جدًّا،» قالت.

«لكن نحنُ أبرياء قطعًا،» هتفَتِ الفيليجونكة.

«أوه، لماذا لم تخبروني بذلك من البدَايةِ،» قالت الهيميولِنة الصَّغيرةُ وهي تتنفَّسُ الصُّعداء. «في هذه الحالة يجب أن تعودُوا إلى البيت. لكن ربَّما يجدر بي أن أرافقَكم لأشرحَ كلَّ شيء لابن عمِّي.»

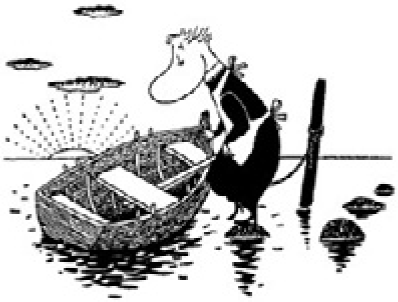

12

عن ليلةِ المسرحيَّةِ الأولى الدّراميَّةِ

بينما رفَّهت الهيميولِنة الصّغيرةُ عن ضيوفِها خلال جلسةِ الشَّاي، استمرَّ المزيدُ والمزيدُ من إعلاناتِ المسرحيَّةِ في التَّطاير حول الغابة. وانجرفَتْ إحداها نحو فسحةِ أرضٍ صغيرةٍ، والتصقَتْ بسطحٍ زُفِّت مؤخَّرًا.

تسلَّقَ أربعةٌ وعشرون طفلَ غابةٍ إلى السَّطح فورًا ليحضرُوا ورقةَ الإعلانِ. أرادَ كلُّ واحدٍ منهم أن يكونَ هو الذي يعطيها لسنفكين، وبما أنَّ الورقةَ كانت رقيقةً نوعًا ما سرعان ما تحوَّلت إلى أربعٍ وعشرين قصاصةً في غاية الصِّغر (وبعضُها سقطَ في المدخنَةِ واحترقَ).

«رسالَةٌ لكَ!» صاحَ أطفالُ الغابة، وهم ينزلقُون ويتدلُّون ويتدحرجون من السَّطح.

«آه منكم يا عفاريت!» قال سنفكين المنهمكُ في غسلِ الجواربِ عند الشُّرفة. «أنسيتم أنَّنا زفَّتنا السَّطح هذا الصَّباح؟ أتريدون أن أرحلَ وأترككَم، أن أرميَ

نفسي في البحرِ أو أقرصَ آذانكم؟»

«لا!» صاح أطفالُ الغابة وهم يشدُّون معطفَه. «نريدكَ أن تقرأَ رسالَتك!»

«تعنون رسائِلي!» ردَّ سنفكين ومسح رغوةَ الصَّابون من يديه بشعرِ أقربِ واحدٍ من الأطفالِ. «حسنًا، حسنًا، تبدو كما لو أنَّها كانت رسالةً مهمَّةً.»

ملَّس القُصاصاتِ المكرمشَةِ على العشب، وحاول أن يجمعَها معًا.

«بصوتٍ عالٍ،» صاحَ الأطفال.

«مأساةٌ من فصلٍ واحدٍ،» قرأَ سنفكين. «عروستَا الأسد أو... (قصاصة مفقودة) التَّذاكرُ مقابل أيِّ شيءٍ يؤكَلُ... أمممم... تبدأ عند غرو... (غروب الشَّمس)... إذا بقي الجو جيِّدًا (ذاك واضح تمامًا)... عد... نو... (لا، لا أستطيع تمييز هذه)... وسط خليجِ التَّنوب.»

«أممم،» همهم سنفكين. «هذه يا وحوشي الصِّغار ليست رسالةً مطلقًا - إنَّها إعلانُ مسرحيَّةٍ. يبدو أنَّ أحدَهم يعرض مسرحيَّةً الليلة في خليج التَّنوب. أمَّا لماذا يجب أن تُعرضَ في الماء فعِلمُ ذلِكَ في الغيب، لكن لعلَّ هذا ضروريٌّ للحبكَةِ.»

«هل يُسمحُ حضورُ الأطفالِ؟» سأله أصغرُ طفلٍ.

«أهناك أسودٌ حقيقيَّةٌ؟» صاحَ الآخرون. «متى نذهبُ؟»

تأمَّلهم سنفكين وأدركَ أنَّه ينبغي أخذهم لحضورِ المسرحيَّةِ.

«قد أتمكَّن من دفع ثمن التَّذاكر ببرميلِ الفاصولياء،» فكَّر بقلقٍ. «إذا كان كافيًا. لقد أكلْنَا منه الكثيرَ... وآمل ألَّا يظنَّ النَّاسُ أنَّ الأربعةَ وعشرين طفلًا هم أطفالي أنا... هذا سيجعلني أشعرُ بالحرجِ. وماذا أطعمُهم غدًا؟»

«ألستَ سعيدًا بالذَّهاب إلى المسرحِ؟» سألَه أصغرُ الأطفال، وفركَ أنفَه بساقِ بنطلونِ سنفكين.

«سعادتي غامرةٌ يا كمَّامةَ الحرير،» ردَّ سنفكين. «والآن سنحاول تنظيفَكَم. ولو قليلًا في أدنى الأحوال. ألديكم أيّ مناديلَ؟ لأنَّ هذه مأساة.»

لا، لم تكن لديهم مناديلُ.

«لا بأس سيكون عليكم أن تمسَحوا أنوفَكم بثيابِكم الدَّاخلية. أو بأيِّ شيءٍ متوافرٍ لديكم.»

❀ ❀ ❀

كانتِ الشَّمس في الأفق تقريبًا عندما فرغَ سنفكين من تنظيفِ البنطلوناتِ والفساتينِ. طبعًا تبقَّت عليها كميَّةٌ لا بأس بها من الزِّفت، لكن على الأقلِّ بدا واضحًا أنَّه بذل أقصى جهدٍ ممكن.

باشرُوا رحلتهم إلى خليجِ التَّنوب وهم في غايةِ التشوّقِ والرَّصانةِ.

قاد سنفكين الطَّريق وهو يحمل برميلَ الفاصولياء، وتبعه أطفالُ الغابةِ الأربع وعشرين كلٌّ اثنين معًا، وشَعْرُ كلِّ طفلٍ وطفلةٍ مصفَّفٌ ومفروقٌ من المنتصفِ، منَ الحاجبينِ نزولًا إلى الذَّيل.

أما ماي الصَّغيرة فجلسَتْ على قبَّعةِ سنفكين، تغنِّي بصوتٍ عالٍ. لفَّت نفسَها بغطاءِ إبريقٍ صوفي لأنَّه هناك احتمالٌ في أن يتخلَّلَ البردُ الهواءَ في وقتٍ لاحقٍ منَ الليلِ.

في الأسفلِ عند الشَّاطئِ كانتْ إثارَةُ عرضِ الليلَةِ الأولى شاملةً وملحوظةً بما لا يقبلُ الشَّك. كان الخليجُ الصَّغير يعجُّ بالقواربِ المُتَّجهةِ إلى المسرحِ. وعلى طَوفٍ تحتَ صفوفِ أضواءِ المسرحِ المتوهِّجةِ بطريقةٍ رائعةٍ وقفَت فرقةُ الهيميولن النُّحاسيَّةُ تعزف باندفاعٍ كلِّيٍّ. وما عدا ذلك كان المساءُ هادئًا ولطيفًا.

استأجرَ سنفكين قاربًا بملءِ كفَّين من الفاصولياءِ ويمَّم المسرحَ العائمَ.

«نفكون!» خاطبه أكبرُ واحدٍ من أطفال الغابة عندما بلغوا منتصفَ الطَّريق.

«نعم،» قال سنفكين.

«معنا هديَّةٌ لكَ،» قال الصَّغير وهو يحمرُّ خجلًا بشدَّةٍ.

أراح سنفكين مجدافيه، وأخرجَ الغليون من فمِه.

أظهرَ طفلُ الغابة شيئًا مجعَّدًا غير محدَّدِ اللون من وراءِ ظهرِه. «هذا كيسُ تبغٍ،» قالَ بصوتٍ غيرِ واضحٍ. «تناوبنا كلُّنا على تطريزِه ولم نقلْ لكَ كلمةً

واحدةً!»

تسلَّم سنفكين هديَّته واسترقَ النَّظر إلى ما في الكيسِ (كان الكيسُ واحدةً من قبَّعاتِ الفيليجونكة القديمة) وتشمَّم ما فيه.

«إنَّهُ ورقُ توتِ العلَّيق لتدخِّنَه أيامَ الأحدِ!» صاحَ أصغرُ الأطفال بفخرٍ.

«هذا كيسُ تبغٍ رائعٌ،» عبَّر لهم سنفكين عن استحسانِه. «والتَّبغُ سيكون ممتازًا للتدخينِ أيَّامَ الأحدِ.»

صافحَ الأطفالَ كلَّهم وشكرَهم.

«أنا لم أشاركْ في التَّطريز،» انبرت ماي الصَّغيرة تقولُ من حافَّةِ قبَّعتهِ. «لكنَّ

الفكرةَ فكرتِي!»

بدأَ قاربُ التَّجديف يقتربُ من صفوفِ أضواءِ المسرَحِ، وسرعانَ ما جعَّدت ماي الصَّغيرة أنفها بشيءٍ من الدَّهشة. «هل كلُّ المسارحِ متشابهةٌ؟» تساءَلَتْ.

«أعتقدُ ذلك،» أجابَ سنفكين. «الآن عندما يرفعون السَّتائرَ سيبدأُ المرحُ، وحينها ينبغي أنْ تتذكَّروا أنَّ عليكم التزامَ الصَّمتِ. ولا تقَعُوا في الماء إذا حدثَ شيءٌ مخيفٌ. وبعد انتهاء المسرحيَّةِ صفِّقوا لتبيِّنوا أنَّكم أحببتموها.»

قبعَ أطفال الغابة بسكونٍ بالغٍ، وحملقُوا في كلِّ شيءٍ.

تلفَّت سنفكين ينظرُ حوالَيه بحذرٍ، لكن لا أحد كانَ يسخرُ منهم. جميعُ الحضور ثبَّتُوا عيونَهم على السَّتارة المضاءةِ. فقط هيميولن مسنٌّ أقبل يجدِّفُ قاربَه وقال: «ثمنُ التَّذاكرِ رجاءً.»

حملَ سنفكين برميل الفاصولياءِ.

«أتدفع عنهم كلّهم؟» سألَه الهيميولن وبدأ يعدُّ الأطفالَ.

«ألَا يكفي هذا؟ استفسرَ سنفكين باضطرابٍ.

«أوه، نعم، هناك دائمًا تخفيضات في مثل هذِه الحالات،» أجابَ الهيميولن وملأ دلوه مِنَ البرميلِ.

ثم توقَّفتِ الفرقةُ النُّحاسيَّةُ عن العزفِ، صفَّق الحضورُ وسادَ الصَّمتُ.

ومن خلفِ السِّتارةِ سُمعت ثلاثُ خبطاتٍ قويَّةٍ.

«أنا خائفٌ،» همسَ أصغرُ أطفالِ الغابة، وأخذَ يشدُّ كمَّ سنفكين.

«تمسَّكْ بي جيِّدًا وستكونُ بخيرٍ،» قال سنفكين. «انظرْ هَا هي السِّتارة تُرفعُ.»

أمام المشاهدين الذين حبسُوا أنفاسَهم ظهرَتْ خلفيَّةُ المنظر الطَّبيعيِّ الصَّخريِّ.

على يمينِ المسرح كانت بنت الميمبل جالسةً، وقد تأنَّقت بلباسٍ حريريٍّ وإكليلِ زهورٍ ورقيَّةٍ.

مالت ماي الصَّغيرة من حافَّةِ القبَّعةِ وهتفَتْ: «اطبخُوني إذًا لم تكن تلك أختِي العتيدة.»

«بنت الميمبل أختُك؟» سألَها سنفكين متفاجئًا.

«ما برحتُ أحكي وأحكي عن أختِي، ألم أفعلْ؟» هسهسَتْ ماي الصَّغيرة بصوتٍ ضَجِرٍ. «ألم تستمعْ لما قلْتُه مطلقًا؟»

أمعن سنفكين النَّظرَ في المسرح. انطفأ غليونُه ونسيَ أنْ يشعلَه. شاهد بابا مومين يدخلُ من الشَّمال ويتحدَّثُ بطريقةٍ خطابيَّةٍ عن شيءٍ غريب يخصُّ الكثير من أقربائِه وعن أسدٍ.

فجأةً قفزت ماي الصَّغيرة إلى حضنه وقالت بصوتٍ هائجٍ: «لماذا هو غاضب من أختِي؟ لا يملكُ أيَّ حقٍّ ليوبِّخ أختي!»

«ششش يا صغيرتي، هذه ليست إلَّا مسرحيَّة،» هدّأها سنفكين بذهنٍ شاردٍ.

ثمَّ رأى شابَّةً صغيرةً وسمينةً بمخملٍ أحمرَ تدخل لتخبرَ المشاهدين أنَّها في أوج سعادتِها. في الوقت نفسِه بدا أنَّها تعاني من وجعٍ في مكانٍ ما.

شخصٌ آخرُ لم يُعرَف مَن هو لم يكفَّ عنِ الصِّياحِ بعبارة: «أوه يا ليل المصير» من وراء المسرح.

متعجِّبًا أكثر فأكثر رأى سنفكين ماما مومين تظهرُ على المسرح. «ما حكاية هذه العائلة؟» فكَّر. «أعرفُ أنَّ لديهم أفكارًا جديدةً دائمًا، لكن هذا! أفترضُ أنَّ مومين ترول سيكون التَّالي في الظُّهور ثم يبدأُ في الكلامِ.»

طبعًا لم يظهر مومين ترول. بدلًا من ذلك دخلَ أسدٌ وهو يزأرُ.

بدأ أطفال الغابة يبكون وكادوا يقلبونَ المركِبَ.

«هذا سخيفٌ،» أبدى هيميولِن يعتمرُ قبَّعةَ شرطيٍّ استياءَه، وكان يجلسُ في القارب المجاور. «هذه المسرحيَّة لا تشبهُ ولا قليلًا تلك المسرحيَّةَ الرَّائعةَ التي رأيتها في طفولتي؛ عن أميرةٍ نامَتْ في شجيرةِ وردٍ. لا أفهمُ كلمةً واحدةً ممَّا يقولونه.»

«هيَّا، هيَّا، هيَّا،» قال سنفكين لأطفاله الذين اجتاحتهم نوبةُ رعبٍ. «ذلك الأسدُ مصنوعٌ من غطاءٍ مفرشٍ قديمٍ.»

لكنَّهم لم يصدِّقوهُ. رأوا بوضوحٍ شديدٍ أنَّ الأسدَ راح يطارد بنت الميمبل في جميع أنحاءِ المسرحِ. وسرعان ما علا صراخُ ماي الصَّغيرة مثل الصَّفارة. «أنقِذوا أختي!» زعقَت. «اقطعُوا رأسَ ذلك الأسد!»

وفجأةً قامت بقفزةٍ مستميتةٍ وحطَّت على خشبةِ المسرحِ. اندفعت نحو الأسدِ وغرزتْ أسنانَها الحادَّة بقائمتِه الخلفيَّةِ.

ولولَ الأسدُ وانفصلَ من منتصفِه.

رأى المشاهدون الآن بنت الميمبل تحملُ ماي الصَّغيرةَ بذراعيها وتقبِّلُ أنفهَا، ولاحظوا أنْ لا أحد عندئذ تكلَّم بعباراتٍ مسترسلةٍ، بل بطريقةٍ طبيعيَّةٍ. قوبل

هذا باستحسانٍ جماعيٍّ، إذ صار بإمكان الحضور أن يفهمُوا ما تدور المسرحيةُ حولَه.

إنَّها عن مخلوقةٍ عامت بعيدًا عن البيت، واختبرَتْ تجاربَ رهيبةً، ثمَّ ها هي تعثرُ على طريقِ العودةِ إلى أهلِها. وهكذا عمَّت السَّعادة الغامرة قلوبَ الجميع، وأصبحَ في وسعهم أنْ يتناولوا الشَّاي.

«إنَّهم الآن يمثِّلون بطريقةٍ أفضلَ بكثيرٍ كما أرى،» قال الهيميولن الشُّرطي.

شرع سنفكين يرفَعُ أطفالَ الغابة إلى المسرح. «مرحبًا ماما مومين!» صاحَ بسرورٍ. «أيمكنُكِ أنْ تعتني بهؤلاءِ من أجلي؟»

أصبحَتِ المسرحيَّةُ أكثرَ فأكثر مرحًا. وشيئًا فشيئًا تسلَّق جمهور المشاهدين خشبة المسرح وأخذوا دورًا في الحبكةِ حيث راحوا يأكلُون تذاكرَ الدُّخول التي عُرضت على طاولةِ غرفة الجلوس. تخلَّصت ماما مومين من ثوبِها المزعج، وأسرعت هنا وهناك توزِّع أقداح الشَّاي.

وبدأتِ الفرقةُ الموسيقيَّةُ تعزفُ لحنَ النَّصر الهيمولِني.

شعَّ وجه بابا مومين ابتهاجًا بالنَّجاحِ العظيمِ، وكان كلُّ شبرٍ في ميزابيل يضجُّ سعادةً كما جرت معها الحالُ في تجربةِ الأداءِ الأخيرةِ.

فجأةً تسمّرَت ماما مومين في أرضها وسط المسرح، وأوقعَت كوب شاي على الأرضيَّةِ.

«ها هو يأتي،» همسَتْ وفي الحال سكَتَ الجميعُ.

في العتمةِ خارجَ المسرح بدأ وقعُ مجاديفَ خافتٍ يقترب. وثمَّة جرسٌ صغيرٌ يرنُّ بوضوحٍ.

«ماما!» صاح صوتٌ. «بابا! أنا عائدٌ إلى البيت!»

«هه! حقًّا!» زمجرَ الهيميولن الشُّرطيُّ. «هؤلاء سُجنائي! اقبضوا عليهم فورًا قبل أنْ يحرقُوا المسرحَ!»

هرعَت ماما مومين نحو صفوف الأضواء. شاهدَتْ أحد مجدافي مومين ترول يفلتُ من يده وهو يهمُّ أن يسندَه. حاول بارتباكٍ أنْ يسحبَهُ بالمجداف الآخر لكن المركب بدأ يدور في مكانِه فقط. كانت الهيميولِنة الصَّغيرة النَّحيلةُ ذاتُ الوجه اللطيفِ جالسةً في مؤخّرِ المركبِ، وبدأت تصيحُ بكلامٍ ما، لكن لا أحدَ أعارَها أذنًا صاغيةً.

«اهربُوا،» زعقَت ماما مومين. «الشُّرطةُ هنا!» طبعًا هي لم تعرف ماذا فعل مومين ترول إلَّا أنَّها كانت مقتنعةً من أنَّها توافقُ على أيِّ شيءٍ فعلَه.

«اقبضُوا على المُدانين!» صرخ الهيميولن الضَّخم. «لقد أحرقُوا يافطاتِ الحديقة عن بكرةِ أبيهَا، وكهربُوا الحارسَ!»

للحظةٍ أصابَتِ الحيرةُ جمهورَ الحضورِ، ثمّ سَرعان ما أدركوا أنَّ المسرحيَّةَ ما زالت مستمرَّةً. وضعوا أكواب الشَّاي جانبًا، وجلسوا عند صفوفِ الأضواء ليتفرَّجوا.

«اقبضوا عليهِم!» زعقَ الهيميولن الغاضبُ. فصفَّقَ الحضورُ.

«انتظِر قليلًا،» واجههُ سنفكين بهدوءٍ. «يبدو أنَّ هناك خطأً في مكان ما، لأنَّني أنا مَن مزَّقَ تلك اليافطات. أحقًّا ما زالَ حارسُ الحديقة مكهربًا؟»

التفتَ الهيميولن وثبَّت عينيه عليه.

«تخيَّل فقط أيّ مكسبٍ لحارس الحديقة ذاك،» تابعَ سنفكين بلا مبالاة بينما هو يقتربُ أكثر فأكثر من صفوف الأضواء. «لا فواتيرَ كهرباء الآن! ولعلَّه يستطيعُ أنْ يشعلَ غليونه من جسمهِ، ويسلقَ البيضَ على رأسِه.»

لم يجُبِ الهيميولن بكلمةٍ. كان يقترب ببطءٍ فاتحًا كفَّيهِ الضَّخمتين ليمسكَ سنفكين من ياقتِه. تقدَّم أقرب فأقرب، ثمَّ ربضَ استعدادًا للقفز. وفي اللحظة التَّاليةِ...

بدأ المسرحُ الدَّوارُ يدورُ بأقصى سرعةٍ. وسمعوا إيما تضحكُ، إنَّما ليس بازدراءٍ هذهِ المرة، بل بانتصارٍ.

في الوقت نفسِه جرَتِ الأحداث بسرعةٍ رهيبةٍ بحيث إنَّ المشاهدين تشوَّشوا نوعًا ما. كان سببُ تشوُّشِهم على الأغلب أنَّهم تعثَّرُوا ووقعوا على الأرضيَّة الدَّوَّارة واختلط حابلهم بنابِلهم. لكن، في تلك اللحظة وعلى الفور ارتمى أربعةٌ وعشرون طفلًا على الهيميولِن وقبضوا على سترتِه بعزمٍ.

قام سنفكين بقفزةٍ جبَّارةٍ من فوق صفوف الأضواء وحطَّ على أحد القواربِ الشَّاغرة. انقلبَ مركبُ مومين ترول من الحركة المُندفعة، فسبحَت الآنسة سنورك والفيليجونكة والهيميولنة الصَّغيرة نحو المسرحِ.

«برافو! رائعٌ! كرّروا المشهد!» صاحَ الجمهورُ.

حالما أصبحَ أنفُ مومين ترول فوق سطح الماء ثانيةً، استدار بهدوءٍ وسبحَ نحو مركب سنفكين. «مرحبًا!» قال وهو يتعلَّقُ بطرفِ القاربِ. «أنا في منتهى السَّعادةِ لرؤيتِكَ.»

«أهلًا، أهلًا!» هتفَ سنفكين. «اقفزْ إلى القارب وسأريكَ كيف تتدبَّرُ منفذًا

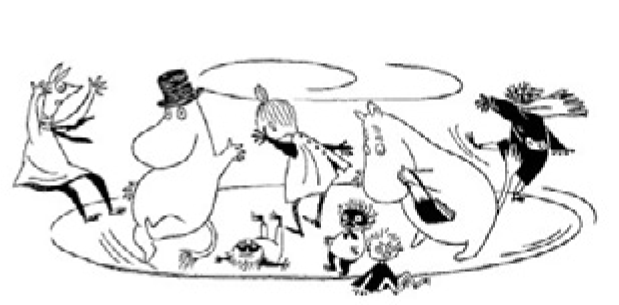

للفرارِ.»

تسلَّق مومين ترول، وبدأ سنفكين يجدِّف تُجاه البحر وشلَّالٌ من الرَّغوة يحيطُ بجؤجؤِ القاربِ.

«إلى اللقاءِ يا أطفالِي، وأشكركُم على مساعدتكِم لي!» صاح. «تذكَّروا أن تحافظِوا على نظافتِكم وترتيبِكم، ولا تصعدُوا إلى الأسطح قبل أنْ يجفَّ القطرانُ!»

في هذه الأثناء نجحَ الهيميولن في تخليصِ نفسه من المسرح الدَّوَّار، ومن أطفال الغابةِ والمشاهدين الذين راحوا يهتفون ويلقون عليه الأزهارَ. ثمَّ نزل إلى قاربٍ وهو يزجر الحضور بشدَّةٍ وانطلقَ لملاحقَةِ سنفكين.

لكنَّهُ تأخَّرَ كثيرًا جدًّا؛ إذ اختفى سنفكين في حنايا الظَّلام.

فجأةً خيَّمَ السُّكونُ على كلِّ شيءٍ في المسرحِ.

«حسنًا، أرى أنَّكِ هنا الآن،» قالت إيمَّا بصوتٍ هادئٍ وهي تثبِّت عينيها على الفيليجونكة التي تقطرُ ماء. «لكن لا تتخيَّلي أنَّ المسرحَ هو دائمًا غرسةُ

ورودٍ.»

13

عن الثَّوابِ والعِقابِ

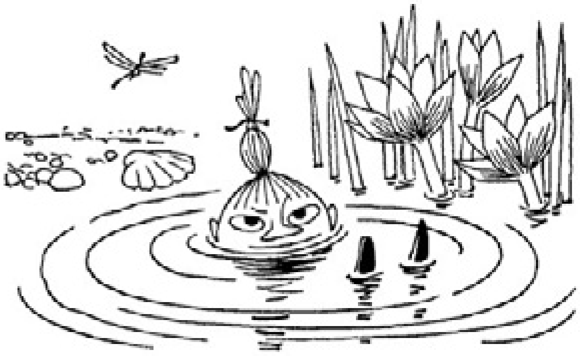

واصل سنفكين التَّجديفَ بصمتٍ فترةً طويلةً. وجلس مومين ترول يتأمَّلُ قبَّعتَه القديمةَ المعهودةَ والباعثةَ على الاطمئنان تحت سماءِ الليلِ، ونفثاتُ دخان الغليون ترتفعُ في الهواء السَّاكنِ. «سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرامُ الآن،» فكَّر.

خَبَا وقعُ الصِّياح والتَّصفيق خلفهما ببطءٍ، وبعد برهةٍ كانتْ ضرباتُ المجاديفِ وتقطُّرُ الماء الصَّوتَين الوحيدَين المسموعَين.

شرائطُ الشَّواطئ المظلمة اختفَتْ من المشهَدِ.

لم يشعرْ أيٌّ من الصَّديقَين بحاجةٍ مُلحَّةٍ إلى الكلامِ. إذ يعلمانِ أنَّ لديهما متّسعًا من الوقتِ، فالصَّيف أمامهما؛ صيفٌ طويلٌ وزاخرٌ بالوعود. في تلك

اللحظة كان لقاؤُهما المثير والليلُ وبلبلةُ الفرارِ أكثرَ من كافٍ، ولا شيءَ يجب أن يعكِّر صفوَ ذلك.

انعطف القاربُ إلى الشَّاطئ الأقربِ مُجدَّدًا.

أدرك مومين ترول أنَّ سنفكين يضلِّلُ المُطاردين. بعيدًا في الظَّلام صوَّتت صفَّارة الهيميولن الشُّرطي، واستجابَتْ لها أصواتُ الآخرين.

عندما انزلقَ المركبُ بين القصب تحت الأشجار الظَّليلةِ كان القمر يبزغُ من البحرِ.

«اسمَعني جيِّدًا الآن،» بدأَ سنفكين.

«نعم،» ردَّ مومين ترول وروحُ المغامرةِ تتسارعُ محلِّقةً فيه على أجنحةٍ هائلةٍ.

«يجب أن تعودَ أدراجك حالًا،» أردفَ سنفكين. «ثمَّ ترجعَ إلى هذا المكان مع كلِّ من يريدون العودةَ من جديد إلى وادي المومين. يجب أن يتركوا الأثاثَ في المسرح. وعليك أن تسرعَ في الابتعاد قبل أنْ يستنفرَ رهطُ الهيميولن ويعمدون إلى مراقبتِكَ. أنا أعرفهم جيِّدًا. لا تتوقَّف في طريقكَ، ولا تخَفْ. ليالي حزيران ليسَتْ خَطِرةً.»

«حاضر،» قال مومين ترول ممتثلًا لأوامرِ صديقِه.

انتَظرَ هنيهةً، لكن بما أنَّ سنفكين لم يضفْ شيئًا آخرَ، صعدَ إلى اليابسةِ وبدأ رحلةَ العودةِ على طولِ الضفّةِ.

قبع سنفكين في مؤخِّرِ المركَبِ، وبحذرٍ نفضَ رمادَ غليونه. ثمَّ استرقَ النَّظر من بين عيدانِ القصبِ. كان الهيميولِن الشُّرطي يجدِّفُ بعناد تُجاه البحر. وكان مرئيًّا بوضوحٍ في مسارِ ضوءِ القمر.

ضحك سنفكين بينه وبين نفسه والتفَتَ يحشو غليونه بالتَّبغ.

✽ ✽ ✽

أخيرًا، بدأَ الماءُ يتراجع ثانيةً. الشَّواطئُ والوديان المغسولة حديثًا أخذت تظهرُ رويدًا رويدًا في كنفِ أشعَّةِ الشَّمس. كانتِ الأشجار أوَّلَ ما نهض فوق الماء. لوَّحت برؤوسها المبهورَةِ في الهواء ومطَّت فروعها بحذرٍ لتتأكَّدَ من أنَّها بخيرٍ وسلامٍ بعد الكارثة. الأشجارُ التي تكسَّرت أغصانُها سارعت إلى إنباتِ فسائِلَ جديدةٍ. عثرَتِ الطُّيور على أماكِن نومِها القديمة، وعاليًا عندَ

قممِ المنحدرَاتِ حيث كان الماءُ قد انحسر تمامًا بادرَ النَّاسُ إلى نشر الملاءَاتِ والملابسِ لتجفَّ على الأرضِ.

وحالما بدأ الماء بالانحسار من بقية الأماكن يمَّمتِ المخلوقات بيوتَها. جدَّفَ النَّاسُ أو أبحروا، ليلًا ونهارًا، وعندما اختفَى الماء تابعوا مسيرتهم على الأقدام تُجاه المناطق التي أقاموا فيها سابقًا.

من المحتمل أنَّ بعضَهم اكتشفَ أماكِنَ ألطفَ خلال الفترة التي تحوَّل فيها الوادي إلى بحيرةٍ، ومع ذلك ما زالوا يفضِّلون بيوتَهم القديمةَ.

✽ ✽ ✽

بينما جلست ماما مومين إلى جانب ابنها في مؤخِّرِ المركب وحقيبتها اليدويَّة في حضنها، لم تفكِّرْ ولا قيدَ أنملَةٍ بأثاثِ غرفةِ الجلوسِ الذي اضطرَّت إلى تركِه وراءَها. بل فكَّرت في حديقَتِها، وتساءَلَت ما إذا كانَ البحرُ قد جرَفَ الممرَّ الحصويَّ جيِّدًا كما درجَتْ أن تفعلَ بنفسِهَا.

وسَرعانَ ما بدأت ماما مومين تميِّزُ بيئتَها السَّابقة المألوفة. كانوا يجدِّفون عبر معبرِ الجبالِ المهجورةِ، وعرفت أنَّها وراءَ المنعطفِ التَّالي ستبصرُ الصَّخرةَ الكبيرةَ عند مدخلِ وادي المومين.

في هذه الأثناء انبرَتْ ماي الصَّغيرة تغنِّي في حضن أختها: «نحن عائدون إلى البيت، البيت، البيت!»

أمَّا الآنسة سنورك فجلسَتْ عند جؤجؤ المركبِ تنظرُ إلى تفاصيلِ الأرض تحتَ الماء. آنذاك كانت هناك مروجٌ تحت المركبِ، وبعضُ الأزهار الأطول من غيرها لامسَت برقَّةٍ عارضةَ القعرِ. صفراءُ وحمراءُ وزرقاءُ، انتصبَتْ تستكشفُ محيطَها عبر الماءِ الصَّافي وأعناقُها مشرئبَّةٌ نحو الشَّمسِ.

وبابا مومين انهمكَ يجدِّفُ بحركاتٍ متوازنةٍ وطويلةٍ.

«أتظنُّون أنَّ الشُّرفةَ الآن فوق مستوى الماء؟» سألَ.

«سنرى عندما نصبحُ هناك،» أجاب سنفكين وهو يتلفَّتُ ناظرًا من فوق كتفِه.

«أوه،» هتفَ بابا مومين. «لا تبتَئس، لقد خلَّفنا جماعة الهيميولن بعيدًا وراءَنا.»

«لا تكن متأكِّدًا كثيرًا،» ردَّ سنفكين.

في وسط المركب كان هناك ثوبُ استحمامٍ يغطِّي كتلةً صغيرةً عجيبةً. تحرَّكَتِ الكتلةُ قليلًا فوكزَها مومين ترول برفقٍ.

«ألَن تخرجي إلى الشَّمس ولو قليلًا؟» سألَها.

«لا، شكرًا، أنا بخيرٍ تمامًا هنا،» أجابَ صوتٌ رقيقٌ من تحتِ ثوبِ الاستحمام.

«إنَّها لا تحصل على أيِّ هواء تلك الصَّغيرة المسكينة،» علَّقت ماما مومين بصوتٍ قلقٍ. «مضَت على جلوسها هكذا ثلاثَةُ أيَّام.»

«الهيميولِن الصَّغار خجولُون،» وضَّح مومين ترول همسًا. «أظنُّها تتسلَّى بالحياكة. هذا يجعلها تشعرُ أنَّها أكثرُ أمانًا.»

لكن الهيميولِنة الصَّغيرة لم تكن تنسجُ. بل كانت وبجدٍّ تكتبُ في كرَّاسٍ بغلافٍ منَ المشمَّعِ الأسودِ. «ممنوعٌ منعًا باتًّا،» انهمكت تكتب. «ممنوع منعًا باتًّا، ممنوع منعًا باتًّا، ممنوع منعًا باتًّا.» خمسة آلاف مرَّةٍ. كتابة هذا صفحة تلو صفحة أشاعَ في نفسها الارتياحَ والرِّضا.

«لطيفٌ أنْ يكونَ المرءُ صالِحًا،» فكَّرت بينها وبين نفسِها.

ضغطَت ماما مومين كفَّ مومين ترول. «في أيِّ شيءٍ تفكِّر؟» سألته.

«في أطفالِ سنفكين،» أجاب مومين ترول. «هل حقًّا سيصبحون ممثِّلين، كلَّهم؟»

«بَعضهم فقَط،» قالت ماما مومين. «والفيليجونكة ستتبنَّى الذين يفتقرون إلى موهبةِ التَّمثيلِ. هي لا تستطيع تدبُّرَ أمورِها بلا أقرباء.»

«سيفتقدون سنفكين،» غمغم مومين ترول بحزنٍ.

«ربَّما في البداية،» قالت ماما مومين. «لكنَّه ينوي أن يزورَهم سنويًا، وسيرسلُ لهم رسائلَ في أعياد ميلادِهم مع صورٍ.»

هزَّ مومين ترول رأسَه وقال: «هذا جيِّدٌ. وهومبر وميزابيل... ألاحظتِ كم بدت ميزابيل سعيدةً بمجرَّدِ أن أدركَت أنَّها يمكن أن تبقَى في المسرح!»

ضحكَت ماما مومين. «نعم، كانت ميزابيل سعيدةً. ستمثِّل في المآسي المسرحيَّة طوالَ عمرها وتضعُ وجهًا جديدًا في كلِّ مرَّةٍ. وهومبر أصبحَ مديرَ المسرحِ الجديدِ وكلُّ جزءٍ منه يقطرُ سعادةً مثل ميزابيل. أليسَ من الظَّريفِ أنْ يحظَى أصدقاءُ المرءِ بما يناسبهم تمامًا؟»

«نعم، ماما، ظريفٌ جدًّا.»

في تلك اللحظة اصطدم المركبُ بالأرض وتوقَّفَ.

«علقْنَا في العشب،» أعلنَ بابا مومين وهو يلقي نظرةً من فوق حافَّة المركب. «يتحتَّمُ علينا أنْ نخوضَ الماءَ على أقدامِنا.»

غادروا كلّهم المركَبَ.

كانَتِ الهيميولنة الصَّغيرةُ تخفي شيئًا تحتَ ثوبِها بدا واضحًا أنَّه ثمين جدًّا بالنسبة إليها، إلَّا أنَّ أحدًا لم يسألْهَا ما هو.

لم يُحرزوا تقدُّمًا سهلًا وهم يخوضون الماءَ الذي ما زال يصلُ إلى خصورِهم، حتَّى على الرَّغم من أنَّ القاعَ كان لطيفًا، وممهّدًا بحشيشٍ طريٍّ خالٍ من الحجارةِ، وهنا وهناك انحدر قليلًا مُفسِحًا المجال لحزم الأعشاب كي تنبثقَ فوقَ سطحِ الماءِ كأنَّها جزرٌ فردوسيَّةٌ صغيرةٌ.

سنفكين آخر من مشى. وبقي أكثر تحفُّظًا من المعتادِ. لم يكفَّ عنِ النَّظر من وراء كتفه مترقِّبًا أيَّ حسٍّ.

«سألتَهِمُ قبَّعتَكَ القديمةَ إن لم يكونوا على مسافةٍ بعيدةٍ خلفنا!» قالت له بنتُ الميمبل.

اكتفى سنفكين بهزِّ رأسِهِ.

ضاقَ الدَّربُ. وخلال الفرجةِ التي بين الصُّخور لمعتَ ومضةٌ من خضرةٍ ودودةٍ أسفرَت عن وادي المومين. ولاحَ سقفٌ مُدبَّبٌ عليه علمٌ يرفرفُ بمرحٍ...

صار في وسعهم أن يرَوا أحدَ منعطفاتِ النَّهر، والجسرِ المطليِّ باللونِ الأزرقِ. كانت أزهارُ الياسمين متبرعمةً! خاضَتْ عائلة المومين طريقَها إلى الأمامِ بسعادةٍ، وطوالَ الوقتِ ثرثرَ الجميعُ في الوقتِ نفسِه عن كلِّ شيءٍ سيقومون بهِ عندما يصلون إلى البيتِ.

فجأةً بترَ السُّكونَ صفيرٌ حادٌّ كأنَّهُ سكِّين.

وفي طرفةِ عينٍ عجَّ الدَّرب بجماعةِ الهيميولن، أمامَهم ووراءَهم وفي كلِّ مكانٍ.

أخفَتِ الآنسة سنورك رأسَها في كتفِ مومين ترول. ولا أحد تفوَّهَ بكلمةٍ. كان من الرَّهيبِ جدًّا أن يصبحوا قاب قوسين منَ البيتِ وتقبضُ الشُّرطةُ عليهم.

أقبلَ الهيميولن الشُّرطي يخوضُ الماء نحوَهم. ووقف أمامَ سنفكين.

«حسسسس... نًا؟» قالَ.

لا أحد أجابَ.

«حسسسسـ... نًا؟» كرَّر الهيميولن.

عندئذٍ خاضت الهيميولنة الصَّغيرة الماء ميمَّمة ابن عمِّها بأسرعِ ما ساعدتها ساقَاها، انحنَتْ وسلَّمت عليه بأدبٍ، ثمَّ ناولَته كرَّاسةً سوداءَ، وقالت بحياءٍ: «سنفكين نادمٌ ويقولُ إنَّه آسفٌ.»

«أنا أبدًا...» شرع سنفكين يقولُ.

أسكته الهيميولن الشُّرطي بنظرةٍ وفتحَ الكرّاسَةَ. بدأ يعدُّ. استغرق وقتًا طويلًا وهو يعدُّ. وبينما شُغل في مهمَّتهِ تابع الماءُ انحسارَه، وبعد فترةٍ هبطَ إلى مستوى الكاحِلِ.

أخيرًا قال الهيميولن: «نعم هذا صحيحٌ تمامًا. - ممنوع منعًا باتًّا - خمسة آلاف مرَّةٍ.»

«لكن...» بدأَ سنفكين.

«لا تقلْ أيَّ شيءٍ رجاءً،» واجهَته الهيميولنة الصَّغيرةُ. «لقَدِ استمتعتُ بهذا، صِدقًا استمتعتُ به!»

«ماذا عن اليافِطات؟» انبرى ابن عمِّها يسألُ.

«ألا يستطيع أن يعلِّق بعضَ اليافِطات الجديدة حول بقعة الخضروات التي تخصُّني؟» استفسرَت ماما مومين. «مثلًا: يُرجى من الزُّوار أن يتركُوا في الأرض القليلَ من الخسِّ؟»

«أوه، نعم... أفترضُ أنَّ هذا يفي بالغرض،» ردَّ الهيميولن بخيبةِ أملٍ طفيفةٍ. «حسنًا، يبدو أنَّني مضطرٌّ إلى إطلاق سراحكَ. لكن إيَّاك أن تكرِّرَ فعلتَكَ هذه مطلقًا!»

«لا،» هتفوا كلُّهم باستسلامٍ.

«وأنتِ عائدةٌ إلى البيت كما أعتقدُ،» تابع الهيميولن وهو يوجِّه نظرةً حادَّةً إلى بنت عمِّه الصَّغيرة.

«نعم، إذا لم تكن غاضبًا منِّي،» أجابت. ثمَّ التفتَتْ إلى عائلة المومين وقالت: «أشكرُكم شكرًا جزيلًا على اقتراحِكم المتعلِّقِ بالحياكةِ. سأرسلُ لكم الخِفاف بمجرَّدِ أن تنتهيَ. ما العنوانُ هنا؟»

«وادي المومين يفي بالغرض،» قال بابا مومين.

❀ ❀ ❀

قطعُوا المسافةَ المتبقيةَ جريًا. فوق المنحدر، وفي ما بين أشجار الليلك، ومباشرةً إلى درجِ البيت الأماميّ. هناك توقّفُوا، أخذُوا نفسًا طويلًا تعبيرًا عن ارتياحهم وتحسَّسُوا في أنفسهم كيف يكون شعور المرء وهو يعود إلى بيتهِ. بدا كلُّ شيءٍ على ما يرام.

سياجُ الشُّرفةِ ذو الزَّخرفةِ الجميلة لم يتكسَّرْ. أزهارُ الشَّمسِ كانت هناك. برميلُ الماءِ كان هناك. وموجةُ الفيضانِ غسلَتِ الأرجوحةَ وأضفَتْ عليها لونًا لطيفًا. ولم يتخلَّفْ عَنِ الفيضانِ بمجملِهِ سوى بركةٍ ضحلةٍ منمنمةٍ قربَ الدَّرج الأماميّ، بركةِ سباحةٍ مناسبةٍ كثيرًا جدًّا لماي الصَّغيرة.

بدا ذلك كما لو أنَّ شيئًا لم يحدثْ قطُّ، وكما لو أن لا خطَر يمكن أن يهدِّدَهم مرَّةً أخرى.

أمَّا الطَّريقُ الحصويُّ فتناثرت عليه أصدافُ البحر، وعلى السَّقيفةِ تدلَّى أكليلٌ من زهورِ أعشابِ البحرِ الحمراءِ.

رفعت ماما مومين عينيها لتلقي نظرةً على غرفة الجلوسِ من النّافذةِ.

«يا عزيزتي لا تدخلِي الآن،» قال بابا مومين. «وإذا فعلْتِ لا تفتحي عينيك.

سأقومُ بصنعِ أثاثِ غرفةِ جلوسٍ يشبه قدر المستطاع الأثاثَ السَّابق. مع شُرَّاباتٍ وقطيفةٍ حمراءَ وما إلى ذلك.»

«لا داعي لأنْ أغمضَ عينيَّ،» قالت ماما مومين بصوتٍ مرحٍ. «أعتقدُ أنَّ الشَّيءَ الوحيدَ الذي سأفتقدُه هو مسرحٌ دوَّارٌ ممتعٌ. وأرى أنَّهُ من الأجمل أن تكونَ قطيفةُ الأثاث منقَّطةً هذه المرَّة!»

✽ ✽ ✽

في المساء نزل مومين ترول إلى حيثُ نصبَ سنفكين مخيَّمَه ليتمنَّى له ليلةً سعيدةً.

كان سنفكين يستمتعُ بتدخينٍ هادئٍ عند النَّهر.

«كلُّ شيء على ما يرام؟» سألَه مومين ترول.

هزَّ سنفكين رأسَه إيجابًا. «كلُّ شيءٍ على الإطلاق،» أجاب.

تشمَّم مومين ترول الهواء. «هل غيَّرتَ التَّبغ إلى صنفٍ جديدٍ؟» استفسر. «رائحته تذكِّرني برائحةِ أوراق توتِ العلَّيقِ. أهو جيِّدٌ؟»

«لا،» أجابَ سنفكين. «أنا فقط أدخِّنه أيام الأحد.»

«أوه، حسنًا،» غمغمَ مومين ترول بشيءٍ منَ الدَّهشةِ. «نعم نحن في يوم الأحد حقًّا. طيِّب، سلامات، سأذهبُ لأنامَ الآن!»

«إيه، هه!» همهمَ سنفكين.

✽ ✽ ✽

عادَ مومين ترول سالكًا ممرَّ البركةِ البُنيَّةِ وراءَ شجرةِ الأرجوحةِ. نظرَ في الماء. نعم، ما زالت الأساورُ في القاع هناك.

انهمكَ يفتِّشُ بين العشبِ الطَّويلِ.

استغرقَ وقتًا طويلًا جدًّا قبل أن يعثرَ على قاربِ اللحاء. مؤخِّرةُ تشابكَ بجذورِ شجيرةٍ، بيدَ أنَّه لم يتحطَّم. بل حتَّى فتحته الصَّغيرة فوق العنبر بقيت في مكانِهَا.

مضَى مومين ترول عبر الحديقة إلى البيتِ. كان هواءُ المساءِ مُنعشًا ومعتدلًا، والزُّهورُ النَّديَّةُ فاحت بعطرٍ أغنى بكثيرٍ من أيِّ وقتٍ مضَى.

وجد أمَّه جالسةً على الدَّرج تنتظره. كانت تحمل بيديها شيئًا وتبتسمُ.

«خمِّن ماذا لديَّ؟» قالت.

«قاعدةُ القاربِ الخشبيَّةِ!» قال مومين ترول وانفجرَ ضاحكًا. ليس بسبب أيِّ شيءٍ معيَّنٍ بدا له طريفًا، لكن فقط لأنَّه شعرَ بسعادةٍ غامرةٍ.